تنبيه

تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان

قانون الهجرة في القرآن الكريم

ص 4

د. محمد راتب النابلسي

كيف يُستسقى الغمام..؟

ص 5

د. عمر الإدريسي

بسم الله الرحمن الرحيم

almahajjafes@gmail.com

المفضل فلواتي
المدير المؤسس

المحجة

جامعة نصف شهرية

المدير المسؤول : د. عبد العلي حجيج

08 ربيع الأول 1433هـ – 01 فبراير 2012م

العدد : 373

3 دراهم

افتتاحية

«رحمة للعالمين»

من صفات رب العالمين أنه رحمن رحيم، فلقد قال عز وجل عن نفسه: ﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾، وبذلك قضى سبحانه «أنه بعباده رحيم لا يعجل عليهم العقوبة، ويقبل منهم الإنابة والتوبة، وهذا من الله تعالى ذكره استعطاف للمعرضين عنه إلى الإقبال إليه بالتوبة»(تفسير الطبري 154/5).

ومن سمات خاتم الرسل صلوات الله عليهم، أنه رحمة للعالمين أجمعين مصداقا لقوله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ نعم للعالمين أجمعين؛ «مؤمنهم وكافرهم، فأما مؤمنهم فإن الله هداه به، وأدخله بالإيمان به، وبالعمل بما جاء من عند الله الجنة، وأما كافرهم، فإنه دفع به عنه عاجل البلاء الذي كان ينزل بالأمم المكذبة رُسُلها من قبله»(تفسير الطبري 99/9).

فلقد كان ﷺ رحيما بأصحابه المؤمنين، ليّنا لهم؛ ﴿بالمومنين رؤوف رحيم﴾، ﴿فبما رحمة من الله لِنت لهم، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾(آل عمران :153)، رحيما بالناس كافة، حريصا على أن ينيب كافرهم إلى رب العزة مسلما له مؤمنا به؛ حتى إنه لما كسرت رباعيته وشُجّ في جبهته، فجعلت الدماء تسيل على وجهه قيل له: يا رسول الله، ادعُ الله عليهم، فقال «إِنّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يَبْعَثْنِي طَعّانًا وَلا لَعّانًا، وَلَكِن بَعَثَنِي دَاعِية وَرَحْمَة، اللهُمّ اغْفِر لِقَومِي فَإِنّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ»(أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء)، كما كان ﷺ رحيما بالحيوان، فقال: «اتقوا الله في هذه البهائم المعْجَمة، فاركبوها صالحة وكلوها صالحة» (أخرجه أبو داود)، وقال محذرا من المعاملة السيئة لها: «دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشائش الأرض»(رواه البخاري)، بل كان عطفه ﷺ يشمل حتى الجماد، فلقد قال عن جبل أحد «هذا جبل يحبنا ونحبه» (أخرجه البخاري في كتاب الجماد والسير)، ويشمل البيئة كلها كما يبدو من قوله ﷺ : «ما من مسلم يغرس غرسا، أو يزرع زرعا، فيأكل منه طير، أو إنسان، أو بهيمة، إلا كان له صدقة»(أخرجه البخاري في كتاب المزارعة)، ومن ثم أقر ﷺ مبدأ الرحمة في كل شيء، فقال: «من لا يَرحم لا يُرحم» (أخرجه البخاري في باب رحمة الناس والبهائم).

البقية ص 2

ملف العدد

من ميلاد رسول إلى ميلاد أمة

لا عيد يعدل عيد كم بمحمد ﷺ

ص 7

د. عبد العلي حجيج

محمد رسول الله ﷺ الرحمة المهداة

ص 7

ذ. أحمد حُسني

ميلاد محمد ﷺ تمهيد لميلاد أمته

ص 8

د. لخضر بوعلي

ميلاد رسول ميلاد نور، ففي ماذا تتجلى مكامن الظلمة؟

ص 9

د. الحسين كنوان

لمحة تاريخية عن احتفال المسلمين بالمولد النبوي

ص 10

د. يوسف العلوي

ذكرى مولد الرسول ﷺ وكيف نحتفل بها؟

ص 11

ذ. أحمد المتوكل

﴿ما أنت بنعمة ربك بمجنون﴾

د. عبد العلي حجيج

آية عظيمة قالها رب العزة في حق رسوله ومصطفاه الكريم محمد ﷺ وردت في مطالع سورة القلم جوابا لقسم، المقسم به الظاهر هو القلم الأداة الأساسية في أي مكتوب يُعبّر عما في النفس والعقل، له قوة الاستمرار في التوصيل الديني بتوصيل الوحي ونشره وبالتوصيل المعرفي العلمي فكان للقلم شرف كبير في منفعة الإنسان في الدين والدنيا. ولهذا صح التنويه به ورفعه إلى درجة المقسم به مصحوبا بما يكتب ويسطر. والنظر الصحيح يرجح أن ما يكتب مما يمكن أن يقسم به لأنه يتضمن الصدق والحق هو كتاب الوحي، خصوصا القرآن، لأنه النعمة العظمى والمعجزة الكبرى وأتت الآية الكريمة في مرتبة الجواب الأول للقسم ينفي عن رسوله نفيا قاطعا أي طعن أو لمز في قدراته الشخصية التي مركزها وأساسها قوّة العقل وصفاؤه الذي يتعلم ويحسن الاندماج مع ما علّم، والمعلم هو الله سبحانه، فقد حكم الله بنعمة جامعة منه لكل ما أنعم على رسوله من شرف سلالته وحصانة تربيته، ومن قوة بنيته وما شاع من خصاله الحميدة، ومن اختياره للرسالة الخاتمة ومن النعمة الكبرى المتمثلة في القرآن المهيمن على سائر الكتب السابقة.

وسجّل القلم أن يحفظ رسوله محمداً حفظا تاما كاملاً من أي مكروه يُؤذيه في عقله ومداركه وذكائه وفطنته من إنس أو جن، فصلته ﷺ بالطاهرين الطيبين من الناس وبما أراد الله له من الملائكة المقرّبين المطهرين. أما الجن فالله سبحانه قد أخبر في سورة الجن أن نفراً منهم هيّأ الله لهم فرصة سماع القرآن من لسان الرسول ﷺ فحصل لهم العجب من بيانه وبلاغته ومن دعوة إلى الرشاد والصواب في العقيدة والسلوك فسارعوا إلى التعبير عن إيمانهم بالقرآن الذي يقوم على توحيد الله سبحانه. وهؤلاء عناصر طيّبة من الجن اقتربت من رسول الله ﷺ فأصاخت واستمعت للطيب من القول الذي يستجيب له كل طيّب من الخلق.

فالقرآن له أثر إلهي والرسول ﷺ له أثر تكويني بصنع الله ومشيئته واختياره واصطفائه لأداء مهمة سامية جامعة لأصفى رسالة إلهية. ولكي تُنجز هذه المهمة على وجهها الصحيح لابد أن يكون المكلف بها على وعي تام كامل في جميع الأوقات وأن يكون حاضر الفكر يُطبّق المنهج المرسوم له بتوجيه من الوحي بدقة تامة. وأن يعان بمعجزات خارقة أعلاها مرتبة القرآن وبيانه وأنواره الساطعة في الهداية وجلب القلوب الطاهرة الطيّبة.

ولذلك فالذي يُفهم من الآية الكريمة وقد أتت جوابا للقسم في سياق تعظيم الرسول ﷺ ومخاطبته بالكاف المقرونة بـ﴿ربّك﴾. يُفهم أنك يا محمد قد بلغت درجة من العقل هي درجة عالية، درجة الكمال والتمام فأنت تصدر في أقوالك وأفعالك من وحي الله ﴿إن هو إلا وحي يُوحى﴾ الذي أنعم عليك نعمة كُبرى لم يصل إلى مرتبتها في الكمال والتمام أي بشر بما وهبك الله من أسرار نعمه وبما فضلك به من المزايا والخصال الحميدة يُؤكد كل ذلك قوله سبحانه ﴿وكان فضل الله عليك عظيما﴾ **وكذلك قوله سبحانه في مطلع سورة الكهف : ﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا﴾ فكما أن القرآن الكريم ليس به عوج فكذلك عبده الحامل له المبلغ له ليس به أي عوج وأي خلل يتعارض مع استقامة القرآن.**

ويمكن أن يستفاد من الآية الكريمة ﴿ما أنت بنعمة ربك بمجنون﴾ أن أي مؤمن مصدق برسالته يتبعه بإخلاص ويقدّر نعم الله عليه ويحمل القرآن في صدره عن علم وفهم وتدبر يزن الأمور والأحوال بميزان القرآن وشرعه، يكون وارثا حقا لرسول الله ﷺ يتصف في عمومه بصفات الرسول فيحفظه الله ويرعاه ويدافع عنه من جهة، وتكون درجته من قوة العقل وذكائه ومن طهارة النفس عالية من جهة أخرى. وتكون الحكمة والكياسة والرحمة هي أسلوبه في مخاطبة الناس والتعامل معهم ولهذا كانت منزلة العلماء الصادقين العاملين المخلصين عالية عند الله وعند الناس.

نتمة الافتتاحية

وعلى هذا الأساس أسعد الله تعالى "هذه الشريعة والذي جاء بها والأمة المتبعة لها، بمصادفتها للزمن والطور الذي اقتضت حكمة الله في سياسة البشر أن يكون التشريع لهم تشريع رحمة إلى انقضاء العالم"(التحرير والتنوير لابن عاشور 169/18).

هكذا كانت سيرة الرسول الأكرم ﷺ مع العالمين، وهكذا سار السلف الصالح مع الناس أجمعين، مقتدين بسيد المرسلين، لشريعة الإسلام متبعين وبها عاملين، فانتشروا في فجاج الأرض داعين وفاتحين، وللحق والعدل ناشرين، وللمجد والحضارة بانين، وللقيم والمبادئ مؤسسين، فسادوا العالم، وانقاد لهم الناس رحمة لا رهبة، وعمّ نور الإسلام أرجاء الأرض مشرقها ومغربها.

واليوم ونحن نعيش ذكرى مولد خير الأنام عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، ما أحوجنا إلى أن نقتبس من نسمات الرحمة التي بعث بها، فنتعامل بالرحمة فيما بيننا، حتى لا ينفض بعضنا من حول بعض، ولنعمل سويا على ما اتفقنا عليه، ولنعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه، حتى نبقى أمة واحدة مجتمعة معتصمة بحبل الله المتين، فلقد تداعت علينا الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعة الطعام. ولنعامل بالرحمة غيرنا من بني الإنسان، حتى نكون قدوة، ندعو غيرنا بسلوكنا وأفعالنا قبل أن ندعوه بأقوالنا، حتى نعيد للمسلم صورته المتألقة التي كان عليها على مدار التاريخ. ولنعامل بالرحمة ما يحيط بنا من كائنات وموجودات، فلقد ظهر الفساد في البر والبحر، مما بدا من تضرر العديد من الكائنات، حتى أصبحت مهددة بالانقراض أو الانقباض، ومن تضرر البيئة المحيطة بنا حتى أصبح المجال الأخضر أبعد مما يمكن أن نتصور.

إن الخلائق اليوم أحوج ما تكون إلى رسالة الإسلام لتنقذها من براثن التخلف الاجتماعي، والتيه السياسي، والانحسار الاقتصادي، ولتعيد الأمة إلى مسارها السليم، لتكون خير أمة أخرجت للناس، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله.

جزاءُ إفرادِ اللَّهِ عَزَّوجل بالمحبَّة والوَلاَء 2

المفضل فلواتي
رحمه الله تعالى

4- مَنْحُ القبول في السَّماءِ والأرْض :

إن الكثير من الزعماء السياسيين وغيرهم يبحثون عن "الشَّعْبيَّة" أي أن يرزقهم الله تعالى حُبَّ الشعوب لهم، وهي رغبة تذهبُ بالبعض من المجنُونين المهْوُوسين بحب الجماهير إلى تصْنيع الأجواق المصفِّقة له في المحافل والمناسبات واللقاءات الجماهيرية المصطَنعة لأدْنَى الأسباب وأتفهها، بل ويصطنعون كذلك البطولات الزائفة لكي يشتغل الإعلام بالتهليل للزعيم الأوْحد، والسياسي المحنَّك العَلَم المفرد، حَتى يترسَّخَ في وعي الجماهير أنَّه المُنقذ الأوْحَدُ، وأنه الرَّاعي الأمين، والمُصْلح القادمُ من أرض "عَبْقَر" أو النازلُ من سماء الأقمار وفضاء النجوميّة اللامعةَ بالذكاء والنبوغ.

ويزيد الأمر جنونا وهَوَسا أن صانعَ الهَوَس والجنون - من كثرة إدْمَانَ الممارسة - يُصَدِّق ذلك، كالذي يكذب ويكذب ويكذب حتى يُصَدِّق هو كذبَهُ، فيظُنَّ أن المطبِّلين والمُزمِّرينَ والنافخين في الأبواق هُمْ الشعبُ فعلا، فيصابون بالغرور زيادة على الجُنُون، فلا يستفيقون إلا على اللعنات التي تُصبُّ عليهم صبّا إذا انقلبتْ كراسيهم، أو وُضعُوا في جحيم قبورهم، وجُردوا من كل زينة التفاخر والتعاظم، وسُربلوا بسرابيل الخزي، وقَطِران الذل والهوان.

هؤلاء المجنونون بالشعبية المحلِّية والقُطرية والعالمية يُخطئون الطريق إليها عندما يَسْلُكون طريقِ شراء الذِّمم، وكسْر الرؤوس، ولَيِّ الأعناق، وقطع الأرزاق، بَدَل الدُّخول إلى محراب التضرُّع لله تعالى، والتواضُع له بقضاء حاجات المستضعفين والمستضعفات، وإكرام القانتين والقانتات، واختيار أهل الأمانة لحمل الأمانات، والإكثار من زيارة بيوت الله تعالى، ووضع المشَاكل المستعصية الحُلُول، بين يدَي المَلك الجبار الآخذِ بنواصي الأملاك والإنسان.

هذا الخطأ في الطريق هو سببُ نكبة الشعوب، حيث يَجْثُم على صَدْرها من لا يَعرفُ إلا العصا حَلاًّ لجميع المشاكل، وإخراسا لكل الأصوات، وفي نفس الوقت لا يعرف سندا وعمادا لقبضته الحديدية إلاَّ منْ هُوَ أغْلَظُ عصًا منه، وأكثر شراسة منه، فَهُو ربُّه ومولاه، له يقدِّم الطاعات، ومنه يأخذ الأوامرَ والنواهي والتعليمات.

ولو رجع هؤلاء إلى منهج الشعبية في الإسلام لَوَجَدُوه صريحا واضحا في عدة نصوص ربانية تَشِعُّ بالنور والرحمة والهُدى إلى الأكمل والأصلح للفرد والمجتمع والأمة، من ذلك : قول الله تعالى :

﴿إِنَّ الذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَانُ وُدّاً﴾(مريَم : 95) أي أن الله عزوجل هو الذي يتكفل لعباده بخَلْق المحبة لهم وإيجادها في الأكوان العُلوية والسُّفليَّة بدون أن يَشْغَلَ العبادُ الصالحون أنفُسهم بها، بل عليهم أن يشغَلُوا أنفسهم بالإيمان الصادق والعمل الصالح المرضي لله تعالى رب العالمين. وهذا هو ما فسره حديث رسول الله ﷺ أحسن تفسير، فقد روى مسلم والبخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : "إن اللَّهَ تَعَالَى إذا أَحَبَّ عَبْدا دعَا جِبْرِيلَ عليه السلام فقال : إنِّي أُحِبُّ فُلانا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ : إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَناً فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ - قَالَ - ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الأَرْضِ، وَإِذَا أَبْغَضَ اللَّهُ عَبْداً دَعَا جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَيَقُولُ : إنِّي أُبْغِضُ فُلاَناً فَأَبْغِضْهُ، فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ : إنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فُلاَناً فَأَبْغِضُوهُ - قَالَ - فَيُبْغِضُونَهُ، ثم تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الأَرْضِ".

فهل بعد هذا يتعجَّبُ الناس من بُغض المومنين وغير المومنين لأمثال النماردَة والفراعنة وآباء جَهْل العصريين الذين يعملون على فرض المحبة والهيبة بالقتل والتشريد والتخريب والضرب بالعصيّ الغليظة لفرض الهيمنة البشَريةَ الظالمة الهالكة؟.

وهل بعد هذا يمكن أن نجد من يَسْعى إلى تحسين الصورة الإسلامية في أعين الحاقدين والحاسدين والمنافقين والشامتين بزيادة الانفتاح وافتعال التقارب والسكون إلى غير من أحاط بكل شيء علما.

﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾(الرعد : 7- 11).

-يتبع-

جريدة المحجة

■ المدير المؤسس : ذ. المفضل فلواتي

■ المدير المسؤول : د. عبد العلي حجيج

■ مسؤول الإخراج : رشيد صدقي

الموقع الإلكتروني : www.almahajja.net

عنوان المراسلة : حي عز الله، زنقة 2 رقم 3- فاس -المغرب
الهاتف : 931113 (0535)

الإيداع القانوني : 1994- 61
رقم الصحافة : 11/ 91
الترقيم الدولي : 3627- 1113

الطبع : إكو برانت - البيضاء
التوزيع : سابريس

محطات إخبارية - محطات إخبارية - محطات إخبارية

بنكيران: المغرب يخوض تجربة الإصلاح في إطار الاستقرار

قال عبد الإله بنكيران، رئيس الحكومة المغربي، الجمعة 27 يناير الجاري بدافوس بسويسرا، إن المغرب يخوض "تجربة الإصلاح في إطار الاستقرار والاستمرارية".

وأوضح بنكيران، في تصريح للقناة التلفزية "الأولى" بثته ضمن نشرتها المسائية، وذلك على هامش الجلسة الأولى لمنتدى الاقتصاد العالمي بدافوس حول موضوع "الحكامة بدول شمال إفريقيا في ظل الربيع العربي"، أن "الحاضرين في دافوس يؤكدون أنهم يريدون مساعدة التجربة المغربية نظرا لطبيعتها السلمية، ونظرا لاحترامها لشروط الديمقراطية، ونظرا لتمتعها بالعديد من المعطيات الخاصة".

وفي ذات الجلسة أبرز بنكيران، النموذج الديموقراطي للمغرب، بعد مصادقة الشعب المغربي على الدستور الجديد وإجراء انتخابات تشريعية يوم 25 نونبر الماضي.

● وكالة المغرب العربي للأنباء

مسودة قرار حول سوريا في مجلس الأمن

يجتمع مجلس الأمن الدولي لإجراء مشاورات تتناول الوضع في سوريا، وفق ما أعلن دبلوماسيون.

وأشار دبلوماسي غربي إلى أن "مسودة قرار حول سوريا قد توزع" في هذا الاجتماع لأعضاء المجلس. ولفت إلى أن هذا الاجتماع سيشكل مناسبة لدول عدة للرد على إعاقة روسيا في تشرين الأول/أكتوبر مشروع قرار أوروبي وتقديم موسكو مشروع قرار لم يحز على موافقة الغربيين. ويعمل الأوروبيون والبلدان العربية منذ أيام على مشروع قرار جديد يستند إلى خطة الجامعة العربية لحل النزاع في سوريا.

وتم الإعلان عن اجتماع الجمعة بعد مشاورات الخميس بين الدول الخمس الدائمة العضوية في مجلس الأمن (الولايات المتحدة، بريطانيا، فرنسا، الصين وروسيا) حول مشروع القرار هذا.

ويتضمن مشروع القرار هذا الخطوط العريضة لخطة أعلنتها الجامعة العربية الأسبوع الماضي لحل الأزمة في سوريا، و تنص خصوصا على نقل لامتيازات الرئيس السوري بشار الأسد إلى نائبه ويتبع ذلك إجراء انتخابات.

ومن المتوقع أن يتوجه الأمين العام للجامعة العربية نبيل العربي ورئيس الوزراء القطري الشيخ حمد بن جاسم بن جبر آل ثاني إلى الأمم المتحدة لتقديم هذه الخطة إلى مجلس الأمن.

وأدى القمع في سوريا إلى سقوط أكثر من 5400 قتيل منذ منتصف آذار/مارس 2011 بحسب الأمم المتحدة.

مواقف حكومة المالكي من النظام السوري تلغي القمة العربية ببغداد

أبلغ الأمين العام للجامعة العربية، نبيل العربي، العراق بأنه من الصعب على القادة العرب حضور مؤتمر القمة العربية، ببغداد الربيع المقبل، بسبب مواقفها من الأزمة السورية.

وأفادت معلومات حصلت عليها صحيفة "الحياة" بأنّ الأمين العام لجامعة الدول العربية نبيل العربي أبلغ ذلك إلى وفد عراقي برئاسة الناطق باسم الحكومة علي الدباغ، خلال زيارته القاهرة الأسبوع الماضي.

ونقلت "الحياة" عن مصدر رفيع المستوى أن "الدباغ لم يخفِ انزعاجه من لهجة العربي الذي قال في شكلٍ صريحٍ في حال استمرار مواقفكم هذه (أي الموقف من الأحداث في سورية) لن يحضر القمة غير دمشق".

وأفادت معلومات بأنّ مجلس التعاون الخليجي قد يقدم طلبًا إلى الجامعة العربية لتأجيل القمة إلى حين انتهاء الأزمة السورية. وكان المجلس هو الذي طلب تأجيلها العام الماضي. من جهة أخرى اعتقد بعض المراقبين وجود "موقف لدى بعض الدول من العراق يمكن أن يؤدي إلى أن يكون الحضور على مستوى وزراء الخارجية أو السفراء".

الجامعة العربية تجمد عمل بعثة المراقبين العرب فى سوريا

أعلن السفير عدنان الخضير، رئيس غرفة العمليات الخاصة ببعثة المراقبين العرب في سوريا أن الجامعة العربية اتخذت قرارا بتجميد عمل بعثة المراقبين بسبب تصاعد أعمال العنف خلال الأيام القليلة الماضية في كافة الأنحاء السورية. وأكد الخضير أن قرار الجامعة ليس سحب البعثة من الأراضي السورية وإنما وقف أنشطتهم فقط خوفا على حياتهم وتأمينا لهم، وذلك بسبب تصاعد أعمال العنف مع العلم أن معظم البعثة مدنيون وليس لديهم إمكانات حمايتهم من أي قصف، مؤكدا أن العنف هناك قوي ولا يوجد تحديد لمصدر هذا العنف. ولفت إلى أن التجميد سيتم لحين انتهاء أعمال العنف أو لحين نظر الجامعة العربية في الأمر، مشيرا إلى أن قرار سحب البعثة لن يكون إلا من خلال مجلس الجامعة العربية هو صاحب القرار.

سوريا: تصاعد عمليات العنف وروسيا ترفض تنحي الأسد

انضم جنود سوريون منشقون إلى تظاهرات الاحتجاج في حمص، وأكدت بعثة المراقبين العرب في سوريا على تصاعد وتيرة العنف في البلاد "بشكل كبير" في وقت أفاد فيه ناشطون سوريون بمقتل أكثر من 50 شخصا، معظمهم من المدنيين الذين سقطوا برصاص قوات الأمن أثناء تفريقها مظاهرات احتجاجية في مناطق مختلفة من سوريا الجمعة.

وأوضح المرصد السوري لحقوق الإنسان إن 44 مدنيا على الأقل قد سقطوا قتلى بينهم 19 سقطوا في بلدة نوى في محافظة درعا جنوب سوريا "لدى إطلاق قوات الأمن النار على مشيعي الطفل الذي قتل بإطلاق رصاص من قبل قوات الأمن".

وزير الخارجية المغربي في الجزائر لتقوية الروابط بين البلدين

أعرب وزير الشؤون الخارجية المغربي الجديد سعد الدين العثماني الاثنين 23 يناير/كانون الثاني لدى وصوله إلى الجزائر في أول زيارة له إلى الخارج، عن "إرادة مشتركة لبعث ديناميكية جديدة" في العلاقات الجزائرية-المغربية، في حين اتفق الطرفان على اللقاء مرتين سنويا لتقييم علاقاتهما الثنائية.

ودعا العثماني إلى ضرورة توسيع العلاقات الجزائرية-المغربية مؤكدا على أهمية التشاور لتفعيل الاتحاد المغاربي ومؤسساته. ولقد التقي العثماني خلال زيارته التي استغرقت يومين، الرئيس الجزائري عبد العزيز بوتفليقة .

ويعتبر العثماني من أبرز قيادات حزب العدالة والتنمية الإسلامي المعتدل الذي فاز في الانتخابات التشريعية وأول وزير خارجية مغربي يزور الجزائر منذ زيارة محمد بن عيسى في 2003 من أجل تحريك "عملية بناء" المغرب.

وأوضح العثماني إن زيارته تأتي في إطار "الإرادة المشتركة وتطوير العلاقات بين البلدين" للاستفادة من الظروف الإقليمية والدولية الحالية لـ"بعث ديناميكية قوية في العلاقات الثنائية وتثمينها وتعميقها أكثر"، كما أفادت وكالة الإنباء الجزائرية.

وأشار الوزير إلى ضرورة توسيع العلاقات الجزائرية-المغربية لتشمل "قطاعات ومجالات جديدة" وضرورة "التشاور في سبيل تفعيل الاتحاد المغاربي ومؤسساته".

واعتبر العثماني أن تطوير العلاقات بين البلدين سيسمح باضطلاعهما بدور أساسي كفاعلين رئيسيين على المستويين المغاربي والدولي مشيرا إلى أن هناك فضاء مغاربيا جديدا يتيح فرصة التقدم إلى الأمام.

من جهته أعلن مراد مدلسي وزير الخارجية الجزائري أن اجتماع وزراء خارجية دول المغرب العربي في الرباط سيكون يومي السابع عشر والثامن عشر من الشهر المقبل.

المصدر: وكالات

ألم قلم

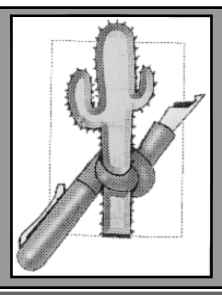

حب المغاربة لنبي الرحمة ﷺ

للغات أسرار، قد تتفاوت فيما بينها بلاغة وفصاحة، لكن يبقى السر قائما في كل لغة على حدة، حتى تكون المعجزة ثابتة وواضحة، مصداقا لقوله تعالى: ﴿واختلاف ألسنتكم وألوانكم﴾. ولعل من أسرارها العلاقة الوطيدة بينها وبين الفكر، فاللسان ينبئ عما في الجَنان، كما قال أسلافنا.

وللأسماء -أسماء الأعلام؛ وهي من اللغة- دلالات لمن وعاها وأدرك أبعادها، ذلك أن لكل قوم معتقدات وعادات ومبادئ ومنطلقات في تسمية أبنائهم بأسماء معينة، واختيارها دون غيرها، ولقد كانت أقوام في القديم -ومنهم عرب الجاهلية- يسمون أبناءهم بأسماء ما يشاهدونه في الطبيعة من حيوانات أو نباتات أو جمادات، فيسمون أبناءهم بها، تيمنا أو تفاءلا.

ولأمر ما أصلح الرسول ﷺ أسماء العديد من الأشخاص، لتحمل دلالات الخير بعد أن كانت حاملة لمعاني الشر، وبيّن أن خير الأسماء "ما عُبِّد وحُمِّد".

ومن هذا المنطلق، كان المسلمون عربا وأعاجم، عبر تاريخهم وما زالوا كذلك، يجتهدون في اختيار الأسماء الدالة على ارتباطهم بجسم هذه الأمة، حتى ولو كانت هذه الأسماء أسماء أعجمية، أو عربية طبعتها العُجمة أو غلبت عليها. وإن كنا نرى في العصر الحديث، أسماء بدأت تطفو على السطح، هنا أو هناك، لا علاقة لها بما تعارف عليه المسلمون منذ القديم في هذا الباب، وهو مظهر من مظاهر ما أصاب هذه الأمة من وهن وضعف وتقليد للآخرين حتى في أسماء الأعلام.

والمغاربة من الشعوب الإسلامية التي يشهد التاريخ على أن الأسماء التي عُرفوا بها لا تدل فقط على التعبير عن انتمائهم لجسم هذه الأمة الإسلامية العظيمة، ولكن أيضا عن حبهم لرسولها الأكرم عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليم.

فالأسر المغربية لا يكاد يخلو بيت منها إلا وفيها اسم "محمد" أو "أحمد" أو ما اشتقوه منها، ك "مَحمد" و"محمدي" و"حمادي" و"حمدون"، بل إن بعض الأسر يتعدد فيها اسم "محمد"، ويميزون فيما بينهم ب"الكبير" أو "الصغير" أو "الأوسط" أو بإضافة اسم آخر له ليصبح اسما مركبا، ك"محمد رضا" أو ما شابه ذلك. بالإضافة إلى أسماء أخرى من نحو "الماحي" و"القاسم" و"طه" و"ياسين" ونحو ذلك. والملاحظ أن أغلب الأسماء عندنا ينادى بها، كما هي، مجردة عن كل اللواحق، إلا في حالة اسم محمد الذي يقرن دائما بالسيادة فيقال :"سي محمد". بل حتى نداء الشخص الغريب غير المعروف باسمه عندنا، يكون ب "سي محمد" أو "الشريف"، وليس الشريف في عرف المغاربة إلا سليل الدوحة النبوية.

وعملا بالحديث السابق"ما عُبد وحُمد"، تعددت أسماء المغاربة التي من هذا القبيل من نحو : عبد الله وعبد السلام وعبد القادر وعبد الرحمن وعبد الكريم وغير ذلك، هذا بالإضافة إلى أسماء الأنبياء ك"إبراهيم" و"سليمان" و"يوسف" و"يحيى" و"موسى" ونحو ذلك.

ولعل من يقارن أسماء المغاربة التي هي من هذا القبيل مع أسماء غيرهم من الشعوب الإسلامية، يجد هذا واضحا للعيان، مما يعني أنه لا يخلو من الدلالات المشار إليها آنفا، وهي حب المغاربة للنبي العدنان ﷺ.

ومن الطريف أن يلاحظ المتمعن في أسماء المغاربة، التي لها طابع أمازيغي، الظاهرة نفسها، فمن قبيل ما حُمِّد في اللسان الأمازيغي: "مَحَند"، و"موح" و"موحا" التي ليست إلا "مُحمد". و"مَحَنْد" و"حمو" اللذان يعنيان "مَحمد". وأما ما عُبد فنجد أسماء من قبيل: "عَكّى" التي تعني "عبد الكريم"، و"عقا" التي تعني "عبد القادر"، و"عسو" التي تعني "عبد السلام"، و"علاّ" التي تعني "عبد الله"، و"رحو" التي تعني "عبد الرحمن"، وهكذا.

وكل هذه الأسماء موجودة بكثرة عند المغاربة الأمازيغ.

كل هذا، على بساطته -وغيره كثير- يدل على تشبع المغاربة بحبهم لرسول الله ﷺ، وإدراكهم العميق -وإن كانوا في أقصى المغرب- أنهم جزء أساسي من هذه الأمة الإسلامية العريقة.

فمتى تتقد هذه الجذوة من جديد في أحاسيس أجيالنا الحالية، لنعبر من جديد، وبشكل عملي، في لغتنا وأسمائنا وسلوكاتنا وتشريعاتنا ومعاملاتنا، عن حبنا لرسولنا عليه الصلاة والسلام، وانتمائنا الأصيل لهذا الدين!!

د. عبد الرحيم بلحاج

قوانين القرآن الكريم 28

لخبير الجمال الدعوي الدكتور محمد راتب النابلسي

قانون الهجرة

تحقيق الوجود العبادي منطلق الهجرة

... القانون اليوم قانون الهجرة... الإنسان أحيانا ينتقل من مكان إلى مكان، هناك انتقالات كثيرة لا تعني شيئا، ولكن هناك انتقال يعد هجرة، هو انتقال هادف، فالنبي ﷺ عاش في مكة، لكن أهل مكة كذبوه ونكلوا بأصحابه، وبالغوا في الإساءة إليه، حتى إن الله سبحانه وتعالى سمح له أن ينتقل من مكة المكرمة إلى المدينة، فهو المهاجر الأول وأصحابه الكرام هاجروا معه، إذن هناك معنى دقيق يستنبط من الهجرة، علة وجودك في الدنيا أن تعبد الله، هذه علة أساسية، يعني.. الهدف الأساسي من وجود الإنسان في الدنيا أن يعبد الله في قوله تعالى ﴿وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون﴾ (الذاريات : 56) فإذا حالت بيئة، أو حال مكان بينك وبين أن تعبد الله، وقد ألغيت علة وجودك، فلابد من أن تهاجر من هذا المكان، الذي ألغى وجودك الإيماني، وألغى علة وجودك إلى مكان آخر، يمكن أن تحقق فيه وجودك، بل يمكن أن تحقق فيه الهدف الذي خلقت من أجله، هذه حقيقة دقيقة، فنحن لو أردنا أن نوضحها بمثل، طالب ذهب إلى بلد أجنبي، وإلى عاصمته ليلتحق بالجامعة الكبرى في هذا البلد وينال الدكتوراه، علاقته بهذه العاصمة على أنها متسعة، وفيها نشاطات لا تعد ولا تحصى، علاقته بهذه العاصمة أن يلتحق بالجامعة لينال الدكتوراه، نقول علة وجوده في هذه المدينة نيل هذه الشهادة، فإذا لم يقبل في هذه الجامعة لا معنى إطلاقا لبقائه في هذه المدينة، فالإنسان حينما يعرف أن الله سبحانه وتعالى خلقه ليعبده، **فإذا حال مكان بينك وبين أن تعبده، فالأولى أن تبحث عن مكان آخر تحقق فيه الهدف من وجودك الذي أراده الله لك، هذا منطلق الهجرة.**

قريش في مكة المكرمة كذبت النبي، وآذت أصحابه، ونكلت بهم، وسخرت منهم، ولكن النبي ﷺ حينما انتقل إلى المدينة، هناك من رحب بدعوته ونصره وأعانه، إذن الهجرة أحد أكبر النشاطات الإيمانية، لذلك قال تعالى: ﴿والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا﴾(الأنفال : 73) يعني ليس في الإسلام ما يسمى اليوم بالموقف السلبي، بالإعجاب السلبي، **ليس المؤمن الذي يقنع بهذا الدين، لكن المؤمن الذي يلتزم بأحكامه، وما إن تستقر حقيقة الإيمان في نفس المؤمن، إلا وتعبر عن نفسها بعطاء، بالتزام، فالمؤمن يصل لله ويقطع لله، ويعطي لله ويمنع لله، ويرضى لله ويغضب لله، فأحد أكبر أسباب الهجرة في العالم الإسلامي هجرة في سبيل الله، هجرة من بلد لا يستطيع أن يعبد الله فيه إلى بلد آخر يوفر له الحرية الدينية، كي يعبد الله ويحقق الهدف من وجوده.**

الاستضعاف بالقمع أو بالإغراء علة الهجرة لحفظ البقاء

... هناك آية دقيقة جدا هي الأصل في موضوع الهجرة، هذه الآية لو تأملناها بدقة.. ذات مدلول مستقبلي خطير.. يقول الله عز وجل ﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم﴾(النساء : 96) يعني ما عرفوا ربهم، ولا عرفوا منهجه، ولا حملوا أنفسهم على طاعته ﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض﴾(النساء : 96) يأتي الرد الإلهي ﴿ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا﴾(النساء : 96) لابد.. من وقفة متأنية عند كلمة ﴿كنا مستضعفين في الارض﴾ يعني إذا حالت جهة قوية في بلد تسكنه، حالت بينك وبين أن تعبد الله، بينك وبين أن تؤدي صلواتك، بينك وبين أن تحجب بناتك، حينما تحول جهة قوية بينك وبين أن تعبد الله، فلابد من محاولة إصلاح المجتمع، فإن لم تستطع فلابد من أن تغادر، لأن النتيجة خطيرة جدا ﴿فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا﴾ ولكن أنت حينما تكون في بلد، القوى تمنعك أن تطيع الله بقمع شديد، لابد من المهاجرة من هذا البلد إلى بلد تحقق فيه ذاتك، عن طريق الأداء لشعائر الله عز وجل، ولكن هناك من العلماء من فهم الاستضعاف بمعنى آخر، حينما تكون في بلد، الحريات فيه مطلقة، ولكن الشهوات أقوى من قناعاتك، وأقوى من إرادتك، تضعف أمام الشهوة وتضيع أولادك، ومن حولك، هذا أيضا نوع من الاستضعاف، لكن هناك استضعاف قمعي، وهناك استضعاف ذاتي، فإذا كنت في بلد لا تستطيع أن تقيم شعائر الله من شدة الصوارف والعقبات والإغراءات، بل إذا كنت في بلد لا تستطيع أن تضمن فيه لأولادك سلامتهم الإيمانية والسلوكية، إذن لابد من أن تفكر في بلد آخر تحقق فيه ذاتك أولا، وتضمن فيه سلامة أولادك وأهلك ثانيا... الاستضعاف إذن له معنيان: استضعاف قمع واستضعاف إغراء، فأنت ينبغي أن تعرف سر وجودك وغاية وجودك، والله عز وجل.. قال ﴿وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون﴾(الذاريات : 56)

في الهجرة عوض خير دينا ودنيا

أما البشارة الطيبة حيث يقول الله عز وجل ﴿ومن يهاجر في سبيل الله﴾(النساء : 99) يعني هو في بلد دخله وفير، حاجاته مؤمنة، طلباته محققة، لكن خاف على أولاده، خاف على مصيرهم، خاف على عقائدهم، خاف على انتمائهم لأمتهم، خاف على تضييع دينهم، أموره المادية ميسرة، ولكنه ضحى بكل هذه الميزات، وأراد أن يعود إلى بلد يمكن أن يطيع الله فيه، أو أن يطيع الله هو وأهله وأولاده، هذه هجرة اسمها "في سبيل الله" قال تعالى : ﴿ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة﴾(النساء : 99) وكأن الله أغراه أنك إذا أردت رضائي، أنا أضمن لك رزقا وفيرا في البلد الذي سوف تأتي إليه، لذلك المقولة الرائعة **"ما ترك عبد شيئا لله إلا عوضه الله خيرا منه في دينه ودنياه"**.. يعني هناك ملمح دقيق، أنت حينما تتخذ قرارا مصيريا، أنت حينما تتخذ قرارا يخدم سر وجودك وغاية وجودك، أنت حينما تتخذ قرارا يضمن لك سلامة دينك، أنت حينما تتخذ قرارا يضمن لك سلامة دين أولادك، هذا قرار خطير ومصيري، وهو قرار عند الله له شأن كبير، ولكن من أجل أن ترى عظمة هذا العمل، الله عز وجل يجعلك تدفع ثمنه باهضا، ففي أول مرحلة من الهجرة، قد لا تجد ما كنت تصبو إليه من دخل وفير، الله عز وجل قال : ﴿فسوف يغنيكم الله من فضله﴾(التوبة : 28) كلمة "سوف" ذات استقبال، يعني لابد من فترة تدفع فيها الثمن، وبعدها يأتي فرج الله عز وجل : ﴿ومن يهاجر في سبل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما﴾(النساء : 99).

بين هجرتين

... يمكن أن نقسم الهجرة إلى هجرتين: هجرة في سبيل الله، وهجرة في سبيل الشيطان، إذا كنت في بلد إسلامي، تعيش حياة كريمة، حياة تؤدي فيها العبادات، التي يتمنى كل عبد أن يؤديها، وضحيت بهذه النعمة الكبيرة، وانتقلت إلى بلد ترتكب فيه الفواحش على قارعة الطريق، ولا تضمن سلامة أولادك من هذه البيئة الفاسدة، فأنت في مشكلة كبيرة يمكن أن تسمى هذه الهجرة هجرة في سبيل الشيطان.

على كل فإن باب الهجرة قد أغلق بين مكة والمدينة، ولكنه مفتوح على مصاريعه بين كل مدينتين تشبهان مكة والمدينة، وأن الهجرة من الأعمال العظيمة التي تهدم ما كان قبلها، بل إن الهجرة في زمن الفتن، وزمن النساء الكاسيات العاريات، وزمن الاضطراب، هذه الهجرة تعد عند الله تعالى. جهادا كبيرا، فقد قال عليه الصلاة والسلام "عبادة الله في الهرج كهجرة إلي" يعني أنت يمكن أن تبقى في بلدك، وأن تهجر كل منكر، فالمهاجر من هجر المنكر، بل إن عبادة الله في بلد عبادة دقيقة هادفة يمكن أن تعد هجرة كاملة إلى الله ورسوله، نعم، لذلك قال عليه الصلاة والسلام "بينما أنا نائم إذ رأيت عمود الكتاب احتمل من تحت رأسي فظننت أنه مذهوب به فأتبعته بصري فعمد به إلى الشام" إلى بلاد الشام بالمعنى القديم الواسع، لأن الله عز وجل يقول ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله﴾(الإسراء : 1) فالبلاد التي حول الأقصى بلاد مباركة بنص هذه الآية، وبنص هذه الأحاديث الصحيحة، إذن يمكن أن نعد الهجرة من مكان يعصى الله فيه، أو لا تستطيع أن تقيم أمر الله فيه، إلى بلد يمكن أن تعبد الله فيه عبادة متقنة، أنت وأهلك ومن يلوذ بك، تعد هذه هجرة في سبيل الله، ولها أجر كبير. والهجرة كما قال عليه الصلاة والسلام "تهدم ما كان قبلها" والهجرة تحقق إن شاء الله، بحسب وعد الله عز وجل، دخلا وفيرا ينسيك البلد الذي كنت تنعم فيه بدخل كبير... هذا موضوع دقيق، يحتاجه كل مسلم حينما يفكر أن ينتقل من مكان إلى مكان...

وإلى لقاء آخر إن شاء الله تعالى..

مواقف وأحوال

هذا ما أبكى أبا هريرة ومعاوية رضي الله عنهما

خذ حذرك أيها العبد الصالح وانتبه، فإن النار يوم القيامة تسعر بثلاثة أنواع من الناس، يبدو في الدنيا صلاحهم، ويظهر أنهم أهل خير وفضل، والحقيقة خلاف ذلك. أما الأول: فقارئ القرآن المجود له. وأما الثاني فالمجاهد الذي استرخص نفسه دفاعا عن دين الله حتى قتل. وأما الثالث فالغني الذي أنفق ماله الذي اكتسبه من عرق جبينه في سبيل الله!!

فاحذر أن تكون أحدهم، واعلم أن ذلك كان يقطع أكباد سلفك من هذه الأمة، وإليك نموذجان من صحابة سيدنا وحبيبنا محمد ﷺ :

الأول: أبو هريرة رضي الله عنه :

قال الترمذي: حدثنا سويد بن نصر أخبرنا عبد الله بن المبارك أخبرنا حيوة بن شريح أخبرني الوليد بن أبي الوليد أبو عثمان المدني أن عقبة بن مسلم حدثه أن شفيا الأصبحي حدثه أنه دخل المدينة فإذا هو برجل قد اجتمع عليه الناس فقال: من هذا؟ فقالوا : أبو هريرة، فدنوت منه حتى قعدت بين يديه وهو يحدث الناس، فلما سكت وخلا قلت له: أنشدك بحق وبحق، لما حدثتني حديثا سمعته من رسول الله ﷺ عقلته وعلمته، فقال أبو هريرة أفعل، لأحدثنك حديثا حدثنيه رسول الله ﷺ عقلته وعلمته، ثم نشغ(1) أبو هريرة نشغة فمكث قليلا ثم أفاق فقال: لأحدثنك حديثا حدثنيه رسول الله ﷺ في هذا البيت ما معنا أحد غيرى وغيره، ثم نشغ أبو هريرة نشغة أخرى ثم أفاق فمسح وجهه فقال: لأحدثنك حديثا حدثنيه رسول الله ﷺ وأنا وهو في هذا البيت ما معنا أحد غيرى وغيره، ثم نشغ أبو هريرة نشغة أخرى ثم أفاق ومسح وجهه فقال لأحدثنك حديثا حدثنيه رسول الله ﷺ وأنا معه في هذا البيت ما معه أحد غيرى وغيره، ثم نشغ أبو هريرة نشغة شديدة، ثم مال خارا على وجهه، فأسندته عليّ طويلا ثم أفاق فقال: حدثني رسول الله ﷺ أن الله تبارك وتعالى إذا كان يومُ القيامة ينزل إلى العباد ليقضى بينهم، وكل أمة جاثية، فأول من يدعو به رجل جمع القرآن، ورجل قتل فى سبيل الله، ورجل كثير المال، فيقول الله للقارئ: ألم أعلمك ما أنزلت على رسولى؟ قال بلى يا رب. قال فماذا عملت فيما علمت؟ قال كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار. فيقول الله له: كذبت، وتقول له الملائكة كذبت، ويقول الله له: بل أردت أن يقال إن فلانا قارئ فقد قيل ذاك.

ويؤتى بصاحب المال فيقول الله له: ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد؟ قال بلى يا رب. قال فماذا عملت فيما آتيتك؟ قال كنت أصل الرحم وأتصدق، فيقول الله له كذبت! وتقول له الملائكة كذبت! ويقول الله تعالى: بل أردت أن يقال: فلان جواد فقد قيل ذاك.

ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله فيقول الله له: فى ماذا قتلت؟ فيقول: أمرت بالجهاد فى سبيلك فقاتلت حتى قتلت. فيقول الله تعالى له كذبت! وتقول له الملائكة كذبت! ويقول الله بل أردت أن يقال فلان جرىء فقد قيل ذاك، ثم ضرب رسول الله ﷺ على ركبتيّ فقال: "يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة"(2).

فانظر رحمك الله إلى حال أبي هريرة رضي الله عنه يريد أن يحدث بهذا الحديث فلا يستطيع، فيصيبه ما يصيبه، ويشتد بكاءه، ويميل حتى يكاد أن يخر ويسقط مخافة أن يكون منهم!!

الثاني: معاوية رضي الله عنه

قال أبو عثمان -متصلا بالحديث السابق- وحدثني العلاء بن أبى حكيم أنه كان سيافا لمعاوية، فدخل عليه رجل فأخبره بهذا عن أبى هريرة رضي الله عنه فقال معاوية: قد فُعل بهؤلاء هذا فكيف بمن بقي من الناس؟!!

ثم بكى معاوية بكاء شديدا حتى ظننا أنه هالك، وقلنا قد جاءنا هذا الرجل بشر، ثم أفاق معاوية ومسح عن وجهه وقال: صدق الله ورسوله ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون﴾(3).

وانظر رحمك الله أيضا إلى حال معاوية وبكائه الشديد، حتى ظن جلساؤه أنه هالك لا محالة، كل ذلك كان خوفا على نفسه، وتأمل قوله رضي الله عنه : قد فُعل بهؤلاء هذا فكيف بمن بقي من الناس؟!!

1- نشخ يَنْشَغ نَشْغاً : شهق حتى كاد يُغشى عليه.

2- رواه الترمذي في كتاب الزهد في باب الرياء والسمعة وقال هذا حديث حسن غريب. //3- رواه الترمذي في كتاب الزهد في باب الرياء والسمعة وقال هذا حديث حسن غريب.

ذ. امحمد العمراوي
من علماء القرويين
amraui@yahoo.fr

خطبة منبرية

كيف يُستسقى الغمام..؟

د : عمر الدريسي

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، ملك يوم الدين، لا إله إلا الله يجيب دعوة المضطرين، ويفرج كرب المكروبين، كاف من استكفاه، ومجيب من دعاه، كفى به ولِيا، وكفى به وكيلاً، وكفى به هادياً ونصيراً، لا إله إلا الله عظُم حلم ربنا فستر، وبسط يده بالعطاء فأكثر، أطاعه الطائعون فأنعم، وتاب إليه المذنبون فغفر، أحمده سبحانه وأشكره، نعمه تترى وفضله لا يحصى، لا معطي لما منع ولا مانع لما أعطى، قصدته الخلائق بحاجاتها وعرفته القلوب بلهفاتها. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له هو الذي في السماء إله، وفي الارض إله، وهو الحكيم العليم، تعرف إلى خلقه بالدلائل والحقائق، وتكفل برزق جميع الخلائق، له الحكمة فيما قدر وقضى، وإليه وحده ترفع الشكوى، وهو المقصود وحده في السر والنجوى، نستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ونتوب إليه، اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت، أنت ربنا ونحن عبيدك ظلمنا أنفسنا واعترفنا بذنوبنا فاغفر اللهم لنا ذنوبنا إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، تباركت ربنا وتعاليت، نستغفرك ونتوب إليك، ونشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبد الله ورسوله أصدق عباد الله شكراً، وأعظمهم لربه ذكرى، فهو عليه الصلاة والسلام الأخشى والأتقى، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله النجباء،وأصحابه الأصفياء، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم اللقاء.

أما بعد :

فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله عز وجل، فاتقوا الله رحمكم الله فتقوى الله طريق النجاة والسلامة، وسبيل الفوز والكرامة، المتقون من عذاب الله هم الناجون ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً﴾(مريم : 72)، ولجنة الله هم الوارثون (تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيّاً﴾(مريم : 63)، والقبول في أهل التقى محصور ومقصور ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾(المائدة : 27).

أيها المسلمون : تبارك اسم ربنا وتعالى جده، هو غفار الذنوب وستار العيوب، ينادي عباده وله الحمد ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(النور:31)، ويناديهم في ملئه الأعلى : « يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفروني أغفر لكم » سبحانه وتقدس هو أعلم بخلقه، علم عجزهم وضعفهم ونقصهم وتقصيرهم ففتح لهم باب الرجاء في عفوه، والطمع في رحمته والأمل في مرضاته، والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه، الرحمات من ربنا فياضة لا ينقطع مددها، والنعم من عنده دفاقة لا ينضب عطاؤها.

أيها الإخوة المسلمون : إذا كثر الاستغفار في الأمة، وصدر عن قلوب بربها مطمئنة، دفع الله عنا ضروباً من النقم وصرف عنها صنوفاً من البلايا والمحن، ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾(الأنفال : 33).

عباد الله: إن ذنوبنا كثيرة، ومعاصينا عظيمة، وإن شؤم المعاصي جسيم وخطير، يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: **وهل في الدنيا شر وبلاء إلا سببه الذنوب والمعاصي؟!**

الذنوب ما حلت في ديار إلا أهلكتها، ولا في مجتمعات إلا دمرتها، ولا في نفوس إلا أفسدتها، ولا في قلوب إلا أعمتها، ولا في أجساد إلا عذبتها، ولا في أمة إلا ألّفتها؛ فاتقوا الله عباد الله! واعلموا أن ما عند الله لا يُسْتَنْزَل إلا بالتوبة النصوح، يقول أمير المؤمنين علي رضي الله عنه : «ما نزل بلاءٌ إلا بذنب، وما رُفع إلا بتوبة».

عباد الله: لقد شكوتم إلى ربكم جدب دياركم، وتأخر المطر عن إبَّان نزوله عن بلادكم وأوطانكم، فما أحرى ذلك أن يدفعكم إلى محاسبة أنفسكم ومراجعة دينكم!

﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد:11). ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾(آل عمران:165). ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾(الشورى:30). ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾(الروم:41).

وما ابتلي المسلمون اليوم بقلة الأمطار، وغور المياه، وانتشار الجدب والقحط، وغلبة الجفاف والمجاعة والفقر في بقاع كثيرة من العالم إلا بسبب الذنوب والمعاصي.

ورحم الله من قال :

رأيتُ الذنوبَ تميتُ القلوب
وقد يورث الذل إدمانُها
وتركُ الذنوبِ حياةُ القلوب
وخير لنفسك عصيانُها

أيها الأحبة : إن هناك صلة قوية بين طهارة الفرد والمجتمع من الذنوب والخطايا، وبين قضاء الحاجات،وتحقيق الرغبات، وتوافر الخيرات، هناك ارتباط متين بين الثروة والقوة، وبين مداومة الاستغفار، واسمعوا إلى مناشدة نوح عليه السلام قومه حيث قال : ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً﴾(نوح : 10 – 12)، وهذا نداءُ هود عليه السلام لقومه حيث قال : ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾(هود : 52)، فبالاستغفار يبلغ كل ذي منزلة منزلته، وينال كل ذي فضل فضله، وهذا هو خبر ربنا لنبينا سيدنا محمد ﷺ حيث قال سبحانه : ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعاً حَسَناً إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾(هود : 3)، **يقول صبيح : شكا رجلٌ إلى الحسن رحمه الله الجدب، فقال له : "استغفر الله، وشكا إليه آخر الفقر : فقال له : استغفر الله، وقال آخر : ادعوا الله رحمك الله أن يرزقني ولداً، فقال له : استغفر الله، وشكا إليه آخر جفاف بستانه، فقال له : استغفر الله، فقال له جُلساؤه : يرحمك الله، ماذا ؟؟ فقال الحسن : رحمك الله ما قلت من عندي شيئاً، إن الله تعالى يقول : ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً × يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً × وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً﴾".**

وأفضل الاستغفار أيها الأخوة المسلمون، أن يبدأ العبد بالثناء على ربه ثم يثني بالاعتراف بالنعم، ثم يُقر لربه بذنبه وتقصيره، ثم يسأل من الله تعالى بعد ذلك المغفرة، كما جاء في حديث شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «سيد الاستغفار أن يقول العبد اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، وأبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت».

لله در أقوام بادروا الأوقات واستدركوا الهفوات، عيونهم بالدموع مملوءة، وألسنتهم عن الزلات محفوظة، وأكفهم عن المحرمات مكفوفة، وأقدامهم بقيد المحاسبات موقوفة، يجأرون في ليلهم بالدعوات، ويقطعون أوقاتهم بالصلوات، إن الحسنات يذهبن السيئات، صدقوا في المحبة والولاء، وصبروا على نزول البلاء، شكروا على سوابغ النعماء، وأنفقوا في السراء والضراء، بذلوا ما عندهم لربهم بسخاء، ووقفوا بباب مولاهم بكل الأمل والرجاء، يرجون وعد ربهم بجزيل العطاء ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلا زَمْهَرِيراً﴾(الإنسان : 12- 13) **ألا فاتقوا الله رحمكم، وتوجهوا إليه بقلوبكم، وأحسنوا الظن، وجدوا في المحاسبة، واصدقوا في اللجوء، جانبوا أهل الفحش والتفحش، ومجالسة ذوي الردى، وممارات السفهاء، احفظوا للناس حقوقهم، ولا تبخسوهم أشيائهم، صلوا الأرحام، واسوا الأرامل والأيتام، تصدقوا بماعندكم من الخيرات، واتقوا النار ولو بشق تمرة، ﴿فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ × وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ × فَكُّ رَقَبَةٍ × أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ × يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ اوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ﴾(البلد : 11) فتوبوا إلى الله جميعا ايها المومنون لعلكم ترحمون، ولا تقنطوا من رحمة الله فإنه سبحانه وتعالى قال : ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ فبادروا بتوبةٍ نصوح ما دام في العُمر فسحة والباب مفتوح، وأكثروا من الاستغفار فبه تُستَجلَب الرحمة مصداقا لقوله سبحانه: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً. يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً. وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً﴾(نوح : 10- 12).**

نفعني الله واياكم بالقرآن المبين وبحديث سيد الأولين والآخرين وأجارني وأجاركم من عذابه المهين إنه هو الغفور الرحيم هو الحي لاإله إلا الله فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين .

الخطبة الثانية

الحمدُ لله الذي خلَق كلَّ شيءٍ فقدَّره تقديرًا، سبحانه له مقاليدُ السَّماوات والأرض وإليه يُرجع الأمر كلُّه، وكان بعباده سميعاً بصيراً. وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له وهو أحقُّ أن يُذكر بكرةً وأصيلاً، وأشهد أنَّ سيّدنا ونبيّنا محمَّدًا عبده ورسوله، صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: فأوصيكم -أيها الناس- ونفسي بتقوى الله عز وجل، فهي والله خير زاد ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾

أيها المسلمون : لقد دعاكم إلى المبادرة مولاكم وفتح باب الإجابة ثم ناداكم بقوله :، ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾، ودلكم على طرق الخير وهداكم ﴿وَاللهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ الَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾(يونس:25) فاتقوا الله ربكم واستغفروه من ذنوبكم وسارعوا إلى مغفرة من ربكم، بابه مفتوح للطالبين، وجنابه مبذول للمقبلين، وفضله ينادي ﴿وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾، سارعوا مسارعة الخائفين، واعترفوا اعتراف المقصرين، ﴿ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين﴾ .

أيها المسلمون : ها أنتم حضرتم إلى هذا المصلى تشكون إلى ربكم جدب دياركم وتاخر الغيث عنكم، فالجؤوا إلى ربكم، وأصلحوا فساد قلوبكم، وتوبوا إليه وأحسنوا العمل، واصدقوا في المحاسبة واللجوء إلى ربكم، فإنه سبحانه يبتلي ويحب أن يلجأ عباده إليه وأن يستكينوا إليه، فتضرعوا إلى ربكم والجئوا إليه رحمكم الله، واعلموا أن الاجتهاد في الدعاء من أعظم الأمور التي يتنزل بها المطر، قال تعالى ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ﴾(النمل : 62)، وقد ورد أن الله عز وجل ليستحي من عباده إذا رفعوا إليه أيديهم أن يردها صفراً، فتقربوا إلى ربكم بالدعاء، وتذللوا بين يديه، واستكينوا إلى ربكم وارفعوا أكف الضراعة إليه، وابتهلوا وادعوا واستغفروا **﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً﴾(هود : 52)،**

سبحانك ياخالق، سبحانك يارازق، أسلمنا النفوس إليك، ووجهنا الوجوه إليك وفوضنا أمورنا إليك وضعف اعتمادنا إلا عليك، إليك مددنا بالرجاء اكفنا يامنزل الغيث بعد ما قنطوا، ويا ولي النعماء والمنن، يكون ماشئت أن يكون وما قدَّرت ألا يكون لم يكن.

اللهم يا باسط اليدين بالعطايا، اغفر لنا الذنوب والرزايا، والسيئات والخطايا، اللهم أنت الله لا إله إلا أنت، أنت الغني ونحن الفقراء؛ أنزل علينا الغيث ولا تجعلنا من القانطين، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا غيثاً مغيثاً، اللهم سقيا رحمة لا سقيا هدم ولا بلاء ولا غرق، اللهم لتحيي به البلاد، وتسقي به العباد، ولتجعله بلاغًا للحاضر والباد، اللهم لا تحرمنا خير ما عندك بشر ما عندنا، اللهم إنا خلق من خلقك، فلا تمنع عنا بذنوبنا فضلك، اللهم اللطف بنا وأرفع عنا عذابك وارحمنا رحمة واسعة، واسقنا سُقيا نافعة، تنبتُ بها ما قد فات، وتحيي بها ما قد مات، تروي بها القيعان، وتسيل البُطنان، وتستورق الأشجار، وترخص الأسعار، ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منّا ياعزيز ياغفار، اللهم إنا نستعتب إليك ونعتذر إليك، اللهم لا تؤاخذنا بذنوبنا ولا بما فعل السفهاء منا يا حي ياقيوم، اللهم أرخص أسعارنا، وغزر أمطارنا، وارزقنا وأنت خير الرازقين وسائر بلاد المسلمين يا ذا الجلال والإكرام . اللهم يا من أودع في الكون روعته، ونشر في الأرجاء رحمته، لا تجعلنا من أشقياء الدنيا والآخرة، وأهد لنا شيبنا وشبابنا إنك على كل شيء قدير، اللهم لا ترينا في أنفسنا ولا في أوطاننا ولا في أهلينا ما نكره يارب العالمين، اللهم اسق عبادك وبهيمتك وانشر رحمتك وأحيي بلدك الميت.

(*) مصلى عين الله الجمعة 08صفر الخير 1433هـ /2012/01/05م

تربية النبي ﷺ ورئاسته للعائلة 4

صفة الأبوة لدى النبي ﷺ

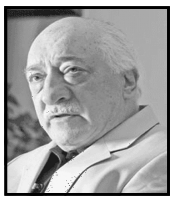

ذ. محمد فتح الله كولن

كان النبي ﷺ ذروة في كل مفصل من مفاصل الحياة وفي شؤونها جميعا. وعندما يريد أي إنسان معرفته عليه أن يخترق قمم عظماء عصره ولا يقف إلا عند أعلى هذه القمم وأعظمها مستعينا بأجنحة خياله وإلا فاته فهمه وقصر في إدراكه. أجل، من أراد البحث عنه، عليه أن يبحث عنه في أفقه. وليس بين مستويات الأشخاص العاديين من أمثالنا، ذلك لأن الله تعالى وهبه قابليات كبيرة في كل شأن من شؤونه.

عاش فخر الإنسانية مثل شمس ساطعة ثم غرب، فلم تر الإنسانية مثيلا له من قبل ولن تراه من بعد. وكما لم تر الإنسانية هذا، كذلك لم ير معاصروه والقريبون منه شخصا إعجازيا كشخصه عليه الصلاة و السلام. وربما لم يدرك الكثيرون آنذاك غروبه إلا بما تركه هذا الغروب في قلوبهم من وحشة، كمثل الزهرة المتعلقة حياتها بضوء الشمس لا تحس بغروب الشمس إلا بعد إحساسها بالذبول جراء انقطاع ضوء الشمس عنها.. أحسوا بالوحشة ولكن الأمر كان قد فات وانقضى. ومن الطبيعي أن من يفهمونه ويعرفونه في أمته يزداد يوما بعد يوم. وعلى الرغم من مرور 14 قرنا فلا نزال نقول "أمنا لخديجة، ولعائشة ولأم سلمة ولحفصة رضي الله عنهن جميعا ونحس بلذة وببهجة من هذا القول أكثر من لذتنا عندما تخاطب أمهاتنا. ولا شك أن الشعور بهذه اللذة وبهذه البهجة كان أعمق في ذلك العهد وأكثر حرارة وإخلاصا، وذلك من أجله ﷺ. لذا، نرى أبا بكر رضي الله عنه يخاطب ابنته عائشة قائلا لها : "يا أمي" لأن الآية الكريمة تقول ﴿وأزواجه أمهاتهم﴾(الأحزاب : 6). نعم، لقد كان أبو بكر رضي الله عنه يقول لبنته التي رباها في حجره "يا أمي".

ولكن كل هذا الحب وهذا التقدير الذي أحاط بهن لم يكن يجدي في إزالة حزنهن وألمهن من فراقه ﷺ، ولم تستطع الأيام الحلوة التي أتت بعد أيام الفتوحات في أن تقلل هذا الحزن العميق في قلوبهن.. بل استمر هذا الحزن حتى غروب حياة كل واحدة منهن. وكما كان زوجا مثاليا لزوجاته، فقد كان أبا مثاليا. وعلى المقياس نفسه كان جدا مثاليا لا يوجد له نظير أو شبيه.

كان يعامل أولاده وأحفاده بحنان كبير، ولم يكن ينسى هو يعطي كل هذا الحنان أو يوجه أنظارهم إلى الآخرة وإلى معالي الأمور. كان يضمهم لصدره ويبتسم لهم ويداعبهم، ولكنه في الوقت نفسه لم يغض طرفه عن أي إهمال لهم حول شؤون الآخرة، وكان في هذا الأمر واضحا جدا وصريحا جدا، ووقورا ومهيبا وجادا فيما يتعلق بصيانة العلاقة بينه وبين خالقه. فمن جهة كان يعطي الحرية لهم ويرشدهم إلى طرق العيش بشكل يليق بالإنسان، ومن جهة أخرى كان لا يسمح بانفلات الانضباط أو سلوك طريق اللامبالاة. ويبذل كل جهوده وبكل دقة لمنع إصابتهم بأي تعفن خلقي، ويهيئهم لعوالم علوية وللحياة الأخروية. وفي أثناء هذه التربية كان الرسول ﷺ يحذر من الوقوع في الإفراط أو التفريط، بل يختار الطريق الوسط ويمثل الصراط المستقيم. وكان هذا بعدا آخر من أبعاد فطنته.

أ- شفقته على أولاده وأحفاده :

يروي مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه الذي خدم رسول الله ﷺ عشر سنين ما يأتي "ما رأيت أحدا كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ(1) أجل، كان يتصرف بشفقة ورحمة وعن عاطفة حقيقية نابعة من صميم قلبه بحيث لم يكن بوسع أحد أن يكون مثيلا له لا في مجال رئاسته للعائلة ولا في مجال أبوته.

ولو كان هذا كلاما صادرا منا فقط لكان من الممكن بقاء أهميته محدودة. إلا أن الملايين من أمته التي تعمقت الرحمة والشفقة في قلبها إلى درجة التورع عن إيذاء نملة.. هذه الملايين كلها تعلن وتعترف بأنه لم يكن هناك مثيل له ﷺ في احتضانه الوجود كله بشفقته ورحمته. صحيح أنه خلق بشرا من البشر. ولكن الله تعالى ألهمه ووضع في قلبه عاطفة الاهتمام بالوجود كله لكي يوطد علاقته مع الناس أجمعين. ولهذا كان رسول الله ﷺ مشحونا بعاطفة قوية وباهتمام كبير تجاه أفراد بيته وتجاه الناس الآخرين.

وتوفي أولاده الذكور في حياته(2) وقد ولدت له أمنا مارية رضي الله عنها ولدا ذكرا فتوفي كذلك، وكان هذا آخرهم. وكان رسول الله ﷺ يجد وقتا من بين مشاغله الكثيرة والمهمة فيذهب إلى مرضعة ابنه ويحتضن ابنه ويقبله ويداعبه ويشمه ويظهر له علامات حبه له(3) وعندما توفي ابنه احتضنه أيضا وقد ملأت الدموع عينيه. ثم قال وهو ينظر إلى المستغربين لحزنه : "إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون". وفي حديث آخر : "إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا" وأشار إلى لسانه.(4).

ولنكرر مرة أخرى فنقول إنه كان أرحم الناس وأكثرهم شفقة وحنانا.

كان الحسن والحسين رضي الله عنهما يركبان على ظهره ويطوف بهما.. هل تتصورون شخصا في هذا المستوى يأخذ حفيده على ظهره ويكون لهما فرسا أمام الآخرين؟ أما هو فكان يفعل هذا وكأنه كان يشير من بعيد إلى ذلك الموقع الممتاز الذي سيناله كل من الحسن والحسين رضي الله عنهما في مستقبل التاريخ. وفي أحد الأيام وبينما كان الحسن والحسين رضي الله عنهما على ظهره دخل عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال لهما : نِعْم الفرس تحتكما. فقال الرسول ﷺ : "نعم الفارسان هما."(5).

يجوز أن الحسن والحسين رضي الله عنهما فهما ما قاله أو لم يفهما، ولكنه كان يمدحهما هكذا. وفي إحدى المرات عندما قال أحدهما للحسن رضي الله عنه وعلى عاتق النبي ﷺ: يا غلام نعم المركب ركبت. فقال رسول الله ﷺ : "ونعم الراكب هو"(6).

أجل، لقد كان يظهر عناية واهتماما خاصين بهذين الإمامين من أهل البيت الحسن والحسين رضي الله عنهما اللذين لهما الشرف والعزة والكرامة في كونهما أبوين لجميع الأولياء الذين سيظهرون حتى يوم القيامة. لذا، كان يحملهما على كتفه من حين لآخر، ولا شك أن لجميع أهل البيت ولجميع الأولياء نصيبا من هذا الاهتمام. وعن جابر قال : دخلت على النبي ﷺ وهو يمشي على أربعة وعلى ظهره الحسن والحسين رضي الله عنهما وهو يقول : "نعم الجمل جملكما ونعم العدلان أنتما"(7) لقد كانت هذه هي منزلة أولاده وأحفاده عنده، فدخل حبه إلى قلوبهم وأصبح مظهرا وموضعا لحب يتجاوز علاقة الأبناء والأحفاد.

وكما كان في جميع الأمور فقد سلك رسول الله ﷺ الطريق الوسط في موضوع تربية الأطفال. فقد كان يحب أولاده وأحفاده حبا جما ويشعرهم بحبه، ولكنه لم يكن يسمح بأي استخدام سيء لهذا الحب. هذا علما بأنه لم يكن يوجد بين أولاده وأحفاده من يحاول هذا أصلا. غير أنه عندما يقومون بتصرف خاطئ من دون عمد نرى من تصرف رسول الله ﷺ وكأن ضبابا من الوقار لف هذا الحب العميق. وبسلوك ملئه الدفء يسعى لمنعهم من التجول إلى مناطق الشبهات. فمثلا مد الحسن رضي الله عنه وهو طفل صغير يده إلى تمر صدقة، فأسرع رسول الله ﷺ وانتزع تلك التمرة من فيه قائلا له : "أما علمت أن الصدقة لا تحل لآل محمد"(8) فقد رباهم منذ الصغر على التوقي من الحرام وإبداء منتهى الحساسية في هذا الموضوع، وهذا من أفضل الأمثلة على إقامة التوازن التربوي منذ الصغر. وفي كل مرة كان يدخل فيها المدينة كنت تراه وقد ركب معه على مركبه بعض الصبيان ملتفين حوله(9) فلم يقصر رسول الله ﷺ حبه على أولاده وعلى أحفاده فحسب، بل على أولاده وصبيان جيرانه وغير جيرانه أيضا.

لم يكن أولاده الذكور وأحفاده فحسب، بل على أولاده وصبيان جيرانه وغير جيرانه أيضا.

لم يكن أولاده الذكور وأحفاده هم الداخلين فقط ضمن دائرة حبه وحنانه، فقد كان يحب حفيدته أُمامة مثلما يحب حفيديه الحسن والحسين رضي الله عنهما فكثيرا ما شوهد وهو يخرج من البيت وعلى كتفه أمامة. وكان يحملها أحيانا على ظهره وهو في صلاة النافلة فإذا ركع وضعها على الأرض وإذا قام رفعها(10). كان رسول الله ﷺ يظهر حبه لأمامة في مجتمع كان الناس فيه حتى عهد قريب يئدون البنات. لذا، كان هذا التصرف منه تصرفا جديدا غير مسبوق من قبل أحد آنذاك.

-يتبع-

1- مسلم، الفضائل، 63، "المسند" للإمام أحمد 112/3.
2- "البداية والنهاية" لابن كثير 328/5.
3- مسلم، الفضائل، 63، "مجمع الزوائد" للهيثمي 161/9.
4- البخاري، الجنائز، 44، 45، مسلم، الفضائل، 62، 63، الجنائز، 12، ابن ماجة، الجنائز، 53، "المسند" للإمام أحمد 193/3، أبو داود، الجنائز، 24.
5- "مجمع الزوائد" للهيثمي 182/9.
6- "كنز العمال" للهندي 650/13.
7- "مجمع الزوائد" للهيثمي 182/9.
8- البخاري، الزكاة، 57، مسلم، الزكاة، 161، "المسند" للإمام أحمد 279/2.
9- أنظر: "حياة الصحابة" للكاندهلوي 2/-688 689.
10- البخاري، الأدب، 18، مسلم، المساجد، 41- 43.
11- مسلم، فضائل الصحابة، 98، البخاري، المناقب، 25، "مجمع الزوائد" للهيثمي 203/9.

إشراقة

جواز الأخذ من غير مسألة ولا تَطَلُّعٍ

ذ. عبد الحميد صدوق

عن سالم بن عبد الله بن عمر، عن أبيه عبد الله بن عمر، عن عمر رضي الله عنهم قال : كان رسول الله ﷺ يعطيني العطاء فأقول : أعطه من هو أفقر إليه مني، فقال : "خذه، إذا جاءك من هذا المال شيء، وأنت غير مشرف ولا سائل، فخذه فتموله فإذا شئت كله، وإن شئت تصدق به، وما لا، فلا تتبعه نفسك" قال سالم : فكان عبد الله لا يسأل أحداً شيئا، ولا يرد شيئا أعطيه. متفق عليه. "مشرف" بالشين المعجمة : أي : متطلع إليه. فمن وصله شيء من المال من غير سؤال ولا استشراف فيُستحب له أن لا يرده، قال الطبري : اختلف الناس فيما أمر النبي ﷺ به عمر رضي الله عنه من ذلك بعد إجماعهم على أنه أمر ندب وإرشاد. انتهى.

وقد تكلم العلماء في نفس المال المأخوذ وأنه ينبغي أن يكون حلالا، لا شبهة فيه، والصواب والله أعلم أن المال إذا وصل إلى الآخذ بلا سؤال ولا استشراف فله غنمه وعلى المعطى غرمه إن اكتسبه من غير وجه. قال الله تعالى : ﴿سماعون للكذب أكالون للسحت﴾ والسحت هو الحرام. قال أهل التأويل : وقد رهن الشارع درعه عند يهودي مع علمه بذلك. وكذلك أخذ الجزية منهم مع العلم بأن أكثر أموالهم من ثمن الخمر والخنزير والسحت والمعاملات الفاسدة، إلا إذا علم أن المعطي سيمن عليه بعطيته، فقد أهدي للنبي ﷺ سمن وأقط وكبش، فقبل السمن والأقط ورد الكبش"(1) وقد كان سفيان الثوري يرد ما يعطى ويقول : لو علمت أنهم لا يذكرون ذلك افتخارا به لأخذت وعوتب بعضهم في رد ما كان يأتيه من صلة فقال : إنما رددت صلتهم إشفاقا عليهم ونصحا لهم لأنهم يذكرون ذلك ويحبون أن يعلم به فتذهب أموالهم وتحبط أجورهم.

وليحذر المسلم أن يرد شيئا وغرضه إظهار الزهد والترفع عن حطام الدنيا، فإن هذا ينطوي على شبهة الرياء، فقد كان سري السقطي يعطي الإمام أحمد فرد عليه مرة، فقال له : السري : يا أحمد احذر آفة الرد فإنها أشد من آفة الأخذ، فقال له أحمد : أعد علي ما قلت فأعاده، فقال أحمد : ما رددت عليك إلا لأن عندي قوت شهر.

ولهذا قال النبي ﷺ : "من أتاه رزق من غير مسألة فرده فإنما يرده على الله"(2).

وجاء رجل إلى الجنيد رحمه الله تعالى بمال وسأله أن يأكله فقال : ما أريد هذا. قال : متى أعيش حتى آكل هذا؟ قال : ما أريد أن تنفقه في الخل والبقل بل في الحلاوات والطيبات، فقبل ذلك منه، فقال الرجل : ما أجد في بغداد أمن علي منك، فقال الجنيد : ولا ينبغي أن يقبل إلا من مثلك.

1- رواه أحمد بإسناد جيد.
2- رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني بإسناد جيد وبألفاظ مختلفة لها معنى واحد.

لا عيد يعدل عيدكم بمحمد

د. عبد العلي حجيج

الرُّسْل فخرُهمُ بأحْمدَ فافخروا ... بإمامهم وإمامكم فتدبروا
لا عيدَ يعدل عيدكم بمحمدٍ ... هو ذكركم هو عزكم فتذكروا
الله لا يرضى بغير طريقه ... بابا لطاعته وذنبا يغفر
اليوم مدحك يا محمدُ عبرة ... للغافلين وكل من يتفكر
ولكل من يرجو الهداية والتقى ... ويريد فهما للحياة ويُبصر
وجميع ما قد قلته وفعلته ... قد دونته صحائف بك تخبر
تشدو بها أصوات صدق بُلّغت ... من سيرة أو من قناة تنشر
وكأن موثوق الحديث يقودنا ... نحو الحجاز نراك فيه تكبر
وكأن أسماع الصحابة كلّهم ... قلم يدوّن كل ما به تأمر
وكأنني والحق سر جمالها ... من بينهم عين ترى ما تُصدر
وتمر بي رؤيا أراك مُبجّلاً ... عطرا شمائلك العظيمة تُسفر
سطعت شموسك فوق آفاق البلا ... د بوحيها وبها القلوب تنوّر
العلم نورك والبلاد بأسرها ... قد عمّها ظلمات جهْل تغمُر
همم كأمثال القرود قد اكتفت ... بالرقص والألعاب فيها لا تفتر
ويرى جميعهم البلاد وقد طغى ... فيها الفساد وساد فيها المنكر
من أين تأتينا الحضارة والعقو ... ل ضعيفة ونفوسنا تُستصغرُ
أمحمد والحق ما شرّعته ... تهفو النفوس لنوره وتوقّر
انظر إلى كل البيوت تجد بها ... ألم العوانس قلبها يتفطر
وترى الطلاق يعيش في أوساطها ... ولكل ذاك مفاسدٌ وتفجُّر
أين الحلول ومن يؤمن رشدها ... أهي القوانين التي تتبخْتر
أم شرعك الهادي إلى خير النتا ... ئج والفلاح بسنّة تتطهّر
إن السيادة لا تنال بشهوة ... وبليِّ أعناق الشريعة تُكسر
من يحم شعبا من سهام عصابة ... المال تعبُده ولا تتوقّر
جاهُ لها وسط الضفادع أذْنها ... لنقيقها سماعة لا تُبصِر
عيد أتانا يا محمد فاستمع ... من أمرنا عن حالنا نتحسّر
هذي البلاد وفيرة خيراتُها ... فيها النعيم عيونها تتفجّر
وشبابها لا يرتضي عيشاً بها ... يختار غرقا في البحور وينفر
ماذا تقول عن الخمور وقد غدت ... ميسورة للشاربين وتكثر
وهناك أنواع جديد شكلها ... عشاقها النشء الصغار تخدر
قتالة لنفوسهم هتّاكة ... لجسومهم وعقولهم فتدمّر
أوأصبحت جاراتنا تهدي لنا ... قرقوبها وشبابنا به يُقهر
يا من يرى منكم صبيّا حُسنه ... قد بُدّل القُبح الكريه فيُنهر
أو بنت عشْرين زهت بجمالها ... لكنها في مشيها تتعثر
وترى شيُوخاً تاركين صلاتهم ... ومآذنٌ تدعوهمُ وتُكبّر
علقت قلوبهمُ بحانات فلم ... يحصل لها هديّ ولا تتأثر
أسفا على ما ضاع من أخلاقهم ... ونسوا ثوابهمُ فلم يستغفروا
إن الذين يحاربون بلادهم ... ويُقتّلون بها نفوسا تشعر
لهمُ أشرّ من اليهود وقتلهم ... للمسلمين بقدسهم لم يُنصروا
أين الذين زهت بهم آفاقنا ... علما وحلما والفخار تسطّر
فبمثلهم إن صح فينا العزم وان ... جابت سحائب عن قرآن يأمر
نبني كما قد أسهموا ببنائهم ... في الرفع من شأن البلاد فتكبر
يا من يُتاجر بالفواحش عد إلى ... رشدٍ ورزق من حلال تُثمر
إن الحياة جميلة لكننا ... نرجو الأمان بها ويُطردَ منكر
سر يا نسيم وبلغن أشواقنا ... مهد الرسول ومرتعا لا يُهجر
يا ليت أيامي تساعدني على ... شمِّي ترابَك فهْو مسْك عنبر
ندعوك يا رب العباد لديننا ... تلقي حُلاه على الجميع وتنشر
وينالنا منه الأمان وعزة ... يحلو بها العيش الكريم ويغمر
إن الكريم هو الذي أكرمته ... ويهان كل لئيم قوم يكفر
الله أكبر والهداية نعمة ... تزكو النفوس بها ويصفو مخبر
آياتها العظمى تلُم شعوبنا ... فتطول قامتنا ويحلو المظهر
يا أمة ها قد بدأت مسيرة ... يبدو الصلاح بها فلا تتنكروا
يا أمة قولي الحقيقة لا تخا ... في من عدوٍّ، غيّري تتغيّر

محمد رسول الله "الرحمة المهداة"

ذ. أحمد حسني

قال الله تعالى : **﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾(الأنبياء : 106)** وقال تعالى : **﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾(آل عمران: 159)**.

إن حياة نبينا محمد ﷺ، إلى جانب جلالها وفضلها كانت في الوقت نفسه رمزا وعظة وعبرة للمسلمين طوال تاريخهم، لو أنهم تدبروها. والله تعالى كان قادرا على أن ينصر رسوله ودعوته نصرا مؤزرا في الأيام الأولى لنزول الوحي، فيؤمن أهل مكة جميعا، ثم يتبعهم العرب كلهم في الدخول في الدين الجديد، ولكن الله تعالى عهد بالرسالة إلى الرسول ﷺ وتركه يخوض معركته مع البشر لكي يتعلم الناس كيف يديرون معاركهم، وكيف يثبتون على مبادئهم، وكيف يعاملون الخصوم بالصبر والأناة وحسن الخلق، والحجة البالغة، والله تعالى يعلم أن أمة الإسلام ستلقى في مسيرتها بعد محمد ﷺ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها - عقبات ومعارضة مشابهة لما واجه نبيها محمدا ﷺ، وستجد الأمة الإسلامية نفسها في نفس المواقف.

والسيرة النبوية ينبغي أن تكون خير معين للمسلمين - اليوم - على النصر والخروج من الأزمات، وهي الطريق الوحيد الذي يفضي إلى السلامة من هذه الظروف القاسية التي تعيشها الأمة.

إن السيرة النبوية ليست سردا لأحداث حياة الرسول ﷺ فحسب، وإنما هي عظات ودروس وعبر ومنهج، فإن نحن وعينا ما في السيرة النبوية من حكم ومقاصد وأحكام وتشريعات عالية، نفعنا هذا الوعي في السير بأمتنا الإسلامية في طريق التوفيق والسلام والرخاء والعزة والمنعة.

إن بعض المؤرخين بالغوا في تصوير سوء الظروف التي كانت محيطة بمحمد ﷺ في طفولته وصباه، فنعتوه بالفقير المحتاج، والرسول ﷺ، ما كان في يوم من الأيام فقيرا ولا محتاجا ولا ضعيفا. ونحن نعتمد في تصوير أحواله ما قاله الله تعالى في سورة الضحى : **﴿ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فاغنى﴾(6- 8)**.

فقد كان ﷺ في صباه راعيا للغنم بأجرة، وفي شبابه تاجرا ناجحا ميسور الحال، قبل أن يتاجر بمال خديجة رضي الله عنها قبل زواجه منها.

لقد جاء محمد ﷺ بعد عدد كبير من الرسل بلغوا رسالات ربهم إلى أقوامهم. قال تعالى : ﴿ثم أرسلنا رسلنا تترا﴾(المومنون : 44). ومضت فترة غلبت فيها الشهوات على الإنسان، وانطمست النفس اللوامة، وغيبت فيه القيم والأخلاق الفاضلة وانحرفت العقول، ففسد المجتمع، فأراد الله عز وجل للبشر الخير والصلاح، فبعث الرسول محمدا ﷺ وأعلن الدعوة إلى الله في مكة، التي استقبلت آخر رسالات الله تعالى لهداية البشر، فكان ﷺ لسان الصدق الذي بلغ الحق إلى الخلق، فكان بحق مسك الختام لأنبياء الله ورسله، فلا يقبل الله بعد رسالته من أحد دينا إلا باتباع دين محمد ﷺ، فمحمد ﷺ هو الرحمة المهداة والنعمة المسداة من رب العالمين إلى خلقه، لقد تمثل فيه الجانب النبوي من الإنسانية طيلة حياته، قبل البعثة وبعدها، قبل البعثة كان للرسول ﷺ صفات محددة بارزة عبرت عنها **السيدة خديجة رضي الله عنها بقولها : "والله لا يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الدهر"** وعبر كذلك عن هذه الصفات القرشيون أنفسهم في جملة واحدة، حينما اختلفوا في وضع الحجر الأسود في مكانه من الكعبة، فاحتكموا إلى أول من يدخل عليهم، فدخل الرسول ﷺ **فقالوا : هذا هو الأمين رضيناه حكما بيننا.** وكلمة "الأمين" كانت تعني مجموعة من الصفات والخصائص متكاملة في شخص رسول الله ﷺ، فأمانته ورحمته جعلته يعمل طيلة حياته لهداية الإنسانية وإسعادها، وقد وصفه القرآن الكريم خير وصف حينما قال : **﴿لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمومنين رؤوف رحيم﴾**(التوبة : 129).

لقد كانت نفس محمد ﷺ رحيمة حتى مع الأعداء، فقد قيل له يوم أحد وهو في أشد المواقف حرجا لو لعنتهم يا رسول الله؟ فقال : «إنما بعثت رحمة ولم أبعث لعانا»(مسلم). وهو القائل : «**إنما أنا رحمة مهداة**"(الترمذي).

ومن رحمته ﷺ أنه سأل أهل مكة بعد أن فتحها الله عليه ونصره على كفار قريش : "**يا معشر قريش ما ترون أني فاعل فيكم؟" قالوا : خيرا، أخ كريم وابن أخ كريم. فقال : "اذهبوا فانتم الطلقاء**"(سيرة ابن هشام 54/4).

إن الرسالة المحمدية تتفرد وتمتاز عن غيرها من الرسالات السماوية بأنها رسالة وسطية عالمية. قال تعالى : **﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾(البقرة : 142).**

فالمسلمون - اليوم - مطالبون بتحمل مسؤولياتهم كاملة في نشر دعوة الله كما تحملها الرسول ﷺ وأصحابه كاملة، ولو أدرك المسلم هذه الحقيقة، لبذل كل ما في وسعه في القيام بما يعهد به إليه، ولو أدرك المسلمون جميعا هذه الحقيقة لكانوا دون شك في مقدمة أهل الأرض. قال الله تعالى : **﴿لقد كان لكم في رسول الله إسوة حسنة﴾(الأحزاب : 21)**. وإن أفضل عمل نرضي به ربنا سبحانه ورسوله ﷺ في حياتنا الدنيا، أن نعاهد الله على أن نكون باستمرار مثلا للرحمة الإسلامية والدعوة إلى الله بالحسنى﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمومنون﴾(التوبة : 106).

ميلاد محمد ﷺ تمهيد لميلاد أمته

عن وائلة بن الأسقع قال قال رسول الله ﷺ : «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم»(1).

د. لخضر بوعلي

باب فضل النبي ﷺ :

1- عن وائلة بن الأسقع قال قال رسول الله ﷺ : «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم»(1).

وقوله تعالى : ﴿وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين إنه هو السميع العليم﴾(الشعراء : 227)(2).

شرف النسب:

إن شرف النسب وطهارة الأصلاب والأرحام التي يتقلب فيها الإنسان، في عالم الذر حتى يُنشأ خلقاً آخر فيخرج إلى عالم الشهادة، عامل في غاية الأهمية في تكوين شخصيته وصياغتها ولكنها لا تكفي وحدها. فإذا أُهملت وتُركت لتعبث بها رياح الأهواء والتقاليد الفاسدة وتوجيهات المجتمع المنقطعة عن السماء، فإنها تضيع كما تضيع البذور الطيِّبة المنتقاة إذا زُرعت وسط الأعشاب البرية وتُركت.

إن النسب الشريف يورِّث من الخصائص والمؤهلات الكثير وقد قال ﷺ : «تخيّروا لنُطفكم فإن العرق دسّاس»(3).

وهذه الخصائص الموروثة تحتاج إلى يدٍ ترعاها وتصقلها وتحفظ لصاحبها تفوُّقه وفي هذا المعنى يندرج قوله ﷺ عندما سئل عن أكرم الناس فقال ﷺ :"... عن معادن العرب تسألوني؟ قالوا نعم فقال : «فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا....»(4).

إن الحديث يشير إلى أن الفقه شرط في المحافظة على الأخيرية. ويؤكد هذا المعنى قوله ﷺ: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقيّة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير.... فذلك مثل من فقِه في دين الله فعلِم وعلّم...»(5).

ولعل سيدنا رسول الله ﷺ، بحكم نسبه الشريف الذي ينتهي إلى إبراهيم عليه السلام، قد ورث من الصفات الجسدية والعقلية والنفسية ما لا يحيط به علماً إلا من حباه به سبحانه. ولو تركت هذه الخصائص الجِبلِّيّة الهائلة للبيئة التي نشأ فيها ربما تؤثر فيها سلباً فتفسدها وإلا فلن تؤثر فيها إيجاباً فتصلحها. والدليل على ذلك أن رسول الله ﷺ قضى أربعين عاماً في مكة المكرمة لم تسجل له فيها من المواقف إلا القليل كمشاركته ﷺ في إعادة الحجر الأسعد إلى موضعه من الكعبة الشريفة وفض النزاع الذي كاد ينشب بين بطون قريش على من يحظى بذاك الشرف، ومشاركته ﷺ في حلف الفضول الذي حضره مع عمومته في دار عبد الله بن جدعان وغيرها. وهي مواقف، على جلالها، لا يمكن أن تكون كافية لبناء الأمة.

إن رسول الله ﷺ لم يبدأ عملية التغيير والتأثير إلا بعد أن تلقى الوحي آيات من الله وحكمة تزكي النفوس وتعلمها وتصحح التصورات والمفاهيم.

هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن الأسرة الكبيرة الشريفة توفر لأبنائها ما لا توفره غيرها من الحماية التي يحتاج إليها كل داعية إذا أغضب بالصدع بالحق أهل الباطل. ولقد قص علينا القرآن الكريم خبر شعيب بعدما زهد قومه في رسالته، ورأوا فيها اعتداء على موروثاتهم العقدية والاقتصادية : ﴿قالوا يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفاً ولولا رهطك لرجمناك وما أنت بعزيز﴾(هود : 91). وهو ذات الأمر الذي تمنّاه سيدنا لوط ولم يجده قال تعالى : ﴿ولما جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم وضاق بهم ذرعاً وقال هذا يوم عصيب وجاءه قومه يهرعون إليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال يا قوم هؤلاء بناتي هنّ أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزوني في ضيفي أليس منكم رجل رشيد قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد قال لو ان لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك...﴾(هود : 76- 80).

و بنو هاشم لا يخفى دورهم في حماية الدعوة التي جاء بها محمد ﷺ في محطات كثيرة كان الحسم فيها للقوة. والذين ساهموا بقوة في حمايتها لم يكونوا جميعاً مؤمنين بهاوإنما كان الدافع حمايتهم لصاحبها ﷺ.

مولده ﷺ :

ولد ﷺ يوم الاثنين التاسع(6) من شهر ربيع الأول في العام الذي وقعت فيه حادثة الفيل والتي قص القرآن الكريم خبرها في سورة الفيل. ويوافق هذا التاريخ 20 أو 22 من شهر أبريل سنة 571 م(7).

وذكرت معظم كتب السيرة النبوية روايات تتحدث عن أحداث رافقت مولده الشريف من ذلك:

× أن آمنة بيت وهب أم النبيّ ﷺ قالت : «لما ولدته خرج من فرجي نور أضاءت له قصور الشام»(8).

× وسقطت أربع عشرة شرفة من أيوان كسرى.

× وخمدت النار التي كان المجوس يعبدونها من دون الله تعالى.

× وانهدمت الكنائس حول بُحيرة ساوة في الشام.

× وغاض ماؤها وجفت(9).

هذه الإرهاصات عبّر عنها الإمام البوصيري رحمه الله تعالى في قصيدته الميمية المشهورة " البردة" قال فيها :

أبان مولده عن طيب عنصره
يا طيب مبتدأ منه ومختتم
يومٌ تفرّس فيه الفرس أنهمُ
قد أنذروا بحلول البؤس والنقم
وبات إيوان كسرى وهو منصدع
كشمل أصحاب كسرى غير ملتئم
والنار خامدة الأنفاس من أسف
عليه والنهر ساهي العين من سدم
وساء ساوة أن غاضت بحيرتها
رُدّ واردها بالغيض حين ظمي
كأن بالنار ما بالماء من بلل
حزناً وبالماء ما بالنار من ضرم(10).

وإذا كان نصيب رسول الله ﷺ الضخم من الواقع المشرِّف يُزهّدنا في الروايات التي ربطت بين مولده ﷺ وأحداث وإرهاصات تستلفت النظر، فإن محمداً ﷺ لم يُعرف قدرَه الزكي إلا بعد أن بدأت رسالته العصماء تنشر النور وتطرد الظلام وتُمكِّن لمعاني الإنسانية في صورتها الأكثر إشراقاً منذ أن درج الإنسان على وجه البسيطة.

ولو عرف الناس أن هذا المولود اليتيم هو الذي سيعطي للإنسان المعنى الحقيقي لرسالته التي من أجلها استخلفه الله تعالى واستعمره في الأرض، لكانت العيون ترمقه في الصغيرة والكبيرة مما خصه الله تعالى به ولكانت هذه الروايات أكثر غزارة على نحو ما كانت رواية سنته الشريفة.

لكن الأمة لم تكن بعد قد شربت من نبع النبوة ولم تتأهل للانضباط لقواعد الرواية ومنهج النقد، حتى نطمئن للمرويات. وأنى لها ذلك ومعلمها ﷺ لا يزال يتقلب فيما تهيّأ له من الرعاية والعناية الربانية التي كانت تُعِدّه لما هو موكول له في الأزل.

لكن غنى محمد ﷺ عن هذه الروايات، وكونها خَارج الحياة الرسالية التي ظرفت بناءه للأمة الإسلامية،

وغنى رسالته عن استمداد الشرف منها، والمدة الزمنية التي فصلت بين وقوعها وانتباه الناس إلى عظيم قدر صاحبها،

وغياب المنهج العلمي الدقيق في تمحيص الروايات ونقلها وقتئذ...

كل هذا لا يمنع من وجودها، كما لا يمنع من وجود الدخيل والسقيم فيها.

ولئن صحت هذه المرويات فإنها لا تخلو من دلالة.

بركاته ﷺ :

لقد تعاملت المرضعات مع محمد ﷺ اليتيم على نحو ما كان متعارفاً في البيئة العربية المادية ترجو المعروف من أب الصبي، لكن محمداً ﷺ يتيم وما عسى أن تصنع أمه وجده؟ وكل من علمت أنه يتيم تتجاوزه إلى غيره، حتى حليمة، وما أخذته إلا كراهة أن ترجع من بين صواحبها من دون رضيع... لكن لم يكن أحد يعلم ما في هذا الغلام اليتيم من البركات التي تفيض منه على كل ما ومن حوله،

فاسألوا عن ذلك ثدي حليمة وما فيه ما يغني ابنها،وعن شارفها وما فيه ما يغذيه.

واسألوا زوجها وما باتا ليلة أجمع من شدة بكائه وهو يتضوّر جوعاً.

واسألوا ابنهما هل شبع قبل أن يشاركه محمد ﷺ في ثدي أمه؟

وهل وجدا في شارفهما ما يشبعهما إلا تلك الليلة؟.

واسألوا أتان حليمة التي أدمت بالركب حتى شق ذلك عليهم ضعفاً وعجفاً، كيف قطعت بالركب ما لا يقدر عليه شيء من حُمُرهم بعد أن حُمل محمد ﷺ على ظهرها، حتى قالت صواحبها : ويحك يا ابنة أبي ذؤيب، أربعي علينا، أليست هذه أتانك التي خرجتِ عليها؟ والله إن لها لشأناً.

واسألوا ديار بني سعد، وقد كانت سَنَتُهم شهباء مجدبة، عن غنم حليمة تروح شباعاً لبناً فيحلبون ويشربون وما يحلب أحد غيرهم قطرة(11).

هذه بركات محمد الصبي فما ظنك ببركات محمد النبي؟

هذه بركاته ﷺ على أتان، وعلى غنم، وعلى قوم ﴿ما أنذر آباؤهم فهم غافلون﴾(يس : 5)، فما ظنك ببركاته في أمة ترك فيها كتاب الله المبارك والسنة الشريفة المباركة، وفيها عباد الله الصالحون والعابدون والراكعون والساجدون والدعاة والمجاهدون؟...

بحيرا الراهب:

لما بلغ رسول الله ﷺ من العمر اثنتي عشرة سنة ارتحل به عمّه أبو طالب تاجراً إلى الشام، حتى وصل إلى بُصرى -وهي معدودة من الشام وقصبة لحوران -وكانت في ذلك الوقت قصبة للبلاد العربية التي كانت تحت حكم الرومان- وكان بها راهب عُرف ببحيرا واسمه جرجيس فلما نزل الركب الذي فيه رسول الله ﷺ خرج إليهم وأكرمهم بالضيافة وكان لا يخرج إليهم قبل ذلك وقد عرف رسول الله ﷺ بصفته فقال لأبي طالب : ما يكون هذا الغلام منك؟ قال أبو طالب هو ابني، قال بحيرا : ما ينبغي أن يكون أب هذا الغلام حيّاً. قال أبو طالب : هو ابن أخي وإنما أناديه بابني لشدة حبي له وقد مات أبوه، وأمه حبلى منه.قال بحيرا: صدقت. فأخذ بيد رسول الله ﷺ وقال هذا سيد العالمين هذا يبعثه الله رحمة للعالمين قال أبو طالب : وما علمك بذلك؟ قال إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق حجر ولا شجر إلا خرّ ساجداً ولا تسجد إلا لنبي وإني أعرفه بخاتم النبوة في أسفل غضروف كتفه مثل التفاحة وإنا نجده في كتبنا(12) وفي رواية قال لأبي طالب : ارجع به واحذر عليه يهود(13) فإنه سيكون له شأن عظيم.

هذا الرجل، ومن خلال ما معه من علم بالكتاب الذي تحدث عن النبي المنتظر المُخلِّص وعن زمن ظهوره وعن علامات دالّة عليه لا يشاركه فيها غيره، علم أنه هو النبي الخاتم. وأخبر جده أن هذا الغلام سيكون له شأن عظيم.

وقع الخبر موقع التصديق في قلب أبي طالب وحمله على محمل الجد ونفّذ وصية الراهب على الفور فرجع به أو أرسله مع غيره إلى مكة المكرمة.

ورجوع محمد ﷺ إلى مكة على وجه السرعة لا يمكن أن يمُرّ دون تساؤل، مما يعني أن ما تنبّأ به الراهب بحيرا انتشر بين أهل مكة. والذين صدقوه تصوروا الشأن العظيم الذي سيكون عليه محمد ﷺ، وكان محدوداً في فكر العرب، كما كان محدوداً في النماذج التي كانت موجودة بينهم وكانت توصف بالعظمة مثل أبي جهل وأبي لهب والوليد بن المغيرة وعبد الله بن جدعان وأبي سفيان بن حرب...وغيرهم. وهل كان بإمكانهم أن يتجاوزوا هذه النماذج؟ وأي همّ كانوا يحملونه للبشرية حتى يوجه تصورهم للعظمة المنتظرة في محمد ﷺ؟. إن العظمة يُمليها الهمّ وهو الذي يحكم عليها.

ميلاد محمد ﷺ تمهيد لميلاد أمته :

1- عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبيّ يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر»(14).

2- وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «أُعطيت خمساً لم يُعطهنّ أحد قبلي :

نصرت بالرعب مسيرة شهر،

وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيُّما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصلِّ

وأحلّت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي،

وأُعطيت الشفاعة،

وكان النبيّ يُبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة»(15).

إن ميلاد محمد ﷺ وانتقاله من عالم الذر إلى عالم الشهادة إيذان بقرب إخراج الأمة الشاهدة.

إن اللبنة التي يمثلها محمد ﷺ في البناء الحضاري الذي شارك فيه جميع إخوانه الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم والتي قال فيها : «إنما مثلي ومثل الأنبياء

من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً... فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين..»(16) هذه اللبنة تعتبر بناء كاملاً وفيه من اللبن بعدد أنفاسه الشريفة، لأنه كان ﷺ مع كل نَفَس يضع لبنة في بناء الأمة على مستوى الأفراد والأسرة والمجتمع...وفي مجالات الحياة كلها. ولا نتصور لحظة من لحظات حياته الرسالية الشريفة مرت دون بناء.

لقد كانت البشرية بحاجة إلى أمة معصومة راشدة تشهد على الناس، وما كانت هذه الأمة لتخرج للناس دون ميلاد رسول الله ﷺ الذي تولى بنفسه - وبما يوحى إليه - تنشئتها.

خلاصة:

إن الأمة الإسلامية استمدت شرفها من شرف بانيها ﷺ، واستمدت بركاتها من بركاته، وعظمتها من عظمته، وسيادتها من سيادته، وفضْلها على الأمم بفضْله على إخوانه الأنبياء ﷺ، وشهادتها على الناس من شهادته عليها...فهي أشرف الأمم وسيدة الأمم وخير الأمم وحقّ لها أن تفخر... وحُقّ لأبنائها أن يفتخروا بها وبالانتساب إليها.

وإن باعد بينها وبين الصفات التي استمدتها من نبيّها بُعدُها عن منهج نبيّها فهل تعود إليه لتعود إليها قريباً؟

وهل تكون ذكرى مولده ﷺ إيذاناً بإعادة ميلادها أو بالأحرى ببعثتها؟

إرهاصات كثيرة تشير إلى ذلك نسأل الله أن تكون صادقة.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

1- رواه الإمام مسلم كتاب الفضائل والترمذي في المناقب 1.

2- الآية على أحد التأويلات أن المقصود بالساجدين الأرحام والأصلاب التي انتقل فيها من إسماعيل إلى عبد الله وآمنة والديه عليه الصلاة والسلام.

3- ابن ماجه كتاب النكاح 46.

4- حديث متفق عليه من رواية أبي هريرة رضي الله عنه.

5- البخاري كتاب العلم باب فضل من علم وعلّم من حديث أبي موسى الأشعري. قال ﷺ :" وكان منها أجاذب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأً فذلك مثل من فقه في دين الله وعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به".

6- ذكره تقي الرحمن المباركفوري في كتابه " الرحيق المختوم" ص 68. وذكر غيره أن ميلاده الشريف ﷺ كان في الثاني عشر من ربيع الأول.

7- المصدر السابق. أما التاريخ الهجري فلم يكن بعد معروفاً إنما هو سنة 53 قبل الهجرة.

8- رواه الإمام أحمد في مسنده عن العرباض بن سارية. وابن سعد في الطبقات ج1 ص 63.

9- انظر سيرة الرسول لعبد الله النجدي ص 12. ومحتويات الحديث جاءت في حديث رواه البيهقي.

10- بعض العلماء لا يتفقون مع هذه الروايات ولا يُقرّونها، والشيخ محمد الغزالي رحمه الله في كتابه فقه السيرة ص61 يصف فيها أبيات الإمام البوصيري بأنها تعبير غلط عن فكرة صحيحة.

11-كلام مستلهم من مجموعة من كتب السيرة النبوية.

12- تقي الرحمن المباركفوري في الرحيق المختوم ص72.

13- والشيخ محمد الغزالي في فقه السيرة ص69.

14- سنن الترمذي 13 / 184. وورد من رواية ابن عباس رضي الله عنهما وقال عنه الترمذي هذا حديث حسن.

15- صحيح البخاري كتاب التيمم

16- الترمذي، الأدب 77.

د. الحسين گنوان

ميلاد رسول ميلاد نور، ففي ماذا نتجلى مكامن الظلمة؟

تستوجب معالجة هذا الموضوع معالجة محاور أخرى قبله أو موازية له حتى يتيسر لكل متلقٍ نزيه أن يدرك بسهولة الحالة الاجتماعية العامة للأمة التي ولد فيها الرسول، ثم ماذا يعني اعتبارنا لميلاده نورا؟ وماذا نعني بالظلمة؟ ويدخل ضمن هذه المحاور المشار إليها الحالة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأخلاقية للأمة المعنية، والتسمية التي أطلقت على هذا المولود لأجل تكليفه من لدن الحق سبحانه بمسؤولية الإصلاح بعد استكمال نضجه، ليعالج تلك الأمراض التي انتشرت في أمته وفق منهج معين يتلقاه عن طريق الوحي. ونقف عند كل محور من المحاور المشار إليها باقتضاب من ذلك ما يلي.

1- الإنسان العربي(1) : "يكاد يكون تاريخ العرب القديم مجهولا لسببين :

أ- عدم الوحدة السياسية، فقد كانت جمهرتهم بدوا رحلا متفرقين في مختلف الأصقاع، متعادين متنافرين لم تضمهم وحدة شاملة ولا ملك قوي.

ب- عدم معرفتهم الكتابة، إذ كان أكثرهم أميين، ولذلك لم يدونوا حوادثهم إلا في أواخر العصر الأموي، أما قبل ذلك فكان اعتمادهم على نقل الأخبار شفويا، اللهم إلا أطرافا من الجزيرة كمملكتي سبإ ومعين اللتين نقشت أخبارهما على الآثار التي لا تزال باقية إلى اليوم".

يستفاد من النصين أعلاه أن حالة الأمة العربية التي نحن بصدد الحديث عن ميلاد نبي فيها تتسم بسمتين قبيحتين هما التفرقة والجهل. وهاتان علتان ما أصابتا أمة معا، أو إحداهما إلا أصيبت بآفة الانحطاط والتأخر.

2- التسمية التي أطلقت على هذا المولود عند تكليفه هي "البعثة" وهي اسم الهيئة مصدر. أما فعله فهو "بعث" يبعث على وزن فتح يفتح، ويدل على الإثارة يقول ابن فارس(2) : "الباء والعين، والثاء أصل واحد، وهو الإثارة، ويقال : بعثت الناقة : إذا أثرتها". وتتنوع دلالات هذا الفعل إما بحسب سياقه الذي ورد فيه أو تنويع اشتقاقه كما يلي :

أ- إرسال المفرد(3) : ومنه "بعثه يبعثه بعثا : أرسله وحده وبعثه على الشيء : حمله عليه". وفي هذين المعنيين المشار إليهما في النص أعلاه قوة، وأمانة، وتكليف : قوة في إرسال المفرد، لأنه لا يعقل أن يرسل واحد لأداء مهمة معينة إذا لم يكن محل اقتدار على إنجاز ما كلف به : ثم إن الاستقلال بالأمانة والانفراد بها أحوط من أن تُضَيّع أو يفشى سر من أسرارها، أو يُخالف الوجه المرغوب تطبيقه منها. ولذا فموسى عليه السلام لم يرغب في أن يشاركه أخوه في عبء الرسالة، وإنما طلب من الله أن يرسل معه أخاه "ردءا" يصدقه، إنها أمانة رسل الله إلى الناس كافة...

ب- الإيقاظ من النوم : ومنه " بعثه من نومه بعثا : أيقظه، والنوم نوعان : نوم حقيقي، وهو أهون لأنه يكون محصورا بعدد النائمين، وبِوَقْت نومهم، ويملك النائمون فيه حاسة التمييز يفرقون بواسطتها بين لحظتي النوم واليقظة. ووقته محدود بظرف أو علة. ونوم مجازي، وهو نوم الغفلة، وهو أخطر من سابقه، لأنه قد لا يحدد بظرف زمني محدود، ولا بعدد الأفراد الغافلين، لأن الغفلة تصيب الفرد والجماعة، بل والأمة أحيانا، وإذا كان نوم الأفراد الحقيقي نتيجة عياء بعد بذل مجهود في أمر معين، أو مرض قد يعجز الطبيب عن معالجته، فإن الأمر هين على كل حال، لأن هذا النوع من النوم يتعلق بأفراد معينين في وقت محدد. أما نوم الأمة (أي غفلتها) فإنها تحدث نتيجة تراكم أخطاء ارتكبت في حق حياة تلك الأمة فأوجبت غفلتها، وعليها أن تنتظر زمنا طويلا حتى يقيض الله لها من ينبهها من تلك الغفلة، ويبدو أن الأمر سيطول بنا ولو وقفنا هنا لعرض نماذج من أحوال الأمم الغافلة قبيل أو أثناء بعثة الرسل فيها.

حـ - السرعة في السير. وهذا المعنى يستفاد من الفعل المزيد لهذه المادة "انبعث" ومنه "انبعث في السير: أسرع" وما أكثر الأمور التي يقتضي إنجازها سرعة معينة، وإلا فات أوان إنجازها، وضاعت الفائدة المرجوة منها.

د - الأرق من أجل هم : ويستفاد هذا المعنى من تغيير شكل فعل "بعث" ليصير صفة أو مصدرا ومنه "رجل بَعِثٌ : كثير الانبعاث من نومه... ورجل بَعْثٌ، وبَعِثٌ : لا تزال همومه تؤرقه وتبعثه من نومه". ولا يؤرَّق بفتح الراء المشددة إلا الذي يشعر بثقل المسؤولية وعظم الأمانة، ولا يؤرق بكسر الراء المشددة إلا الأمر العظيم، والعبء الثقيل.

هـ - إحياء الحق سبحانه للموتى حقيقة. ومنه قوله تعالى : ﴿ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون﴾(البقرة : 56) أي أحييناكم وبعث الموتى نشرهم ليوم البعث".

تلك هي معاني فعل "بعث" وبعض مشتقاته. فما علاقة هذه الدلالات بمفهوم البعثة الشرعي، أي بعث الله تعالى رسله إلى بني آدم، أهي من الإرسال المفرد الذي يستوجب: التكليف بقوة وأمانة؟ أم إيقاظ المرسَل إليهم من غفلتهم التاريخية حيث يكثر الفساد ويعم، وتسوء أحوال حياة الإنسانية، أم أنها من حمل هم الأمانة التي تؤرق صاحبها حيث يشعر بثقل المسؤولية وعظمتها. وهذا هم الأنبياء في الدرجة الأولى. ثم يليهم من تأدب بشرائعم المنزلة عليهم، وانتدب نفسه للمحافظة على إرثهم الإلهي؟ أم أن الإرسال هنا بمعنى الإثارة، لأن الذين يحيدون عن شرع الله زمنا طويلا يركنون إلى أهوائهم، فيقع الخلل في سنن تنظيم الحياة بينهم وتنطمس بصائرهم عن رؤية الحق، ويكونون بمثابة الموتى معنويا؟

إن أية أمة تتعامل بغير ما يُرْضِي الله تتظافر عليها هذه المواصفات : الغفلة التي هي بمثابة نوم حقيقي، والعدمية التي هي بمثابة الفناء حيث يكون وجود فلا وجود، وتلك معالم الظلمة المعنوية. ولذا يحتاج من يوليه الله مسؤولية إصلاحها إلى مواصفات خاصة منها القوة والأمانة ووحدة الرأي. ثم الاهتمام بها إلى الدرجة التي يؤرقه أمر تدبير شؤونها. ويبدو مما سبق أن فعل "بعث" ومشتقاته تتوافر فيه هذه الدلالات وزيادة.

تلك هي التسمية المقترنة بمهمة الرسول الذي كان ميلاده بداية نور لكشف الغمة عن الأمة. ولذا قال الحق سبحانه ﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾(المائدة : 15) ومما جاء في معنى النور في هذه الآية أنه رسول الله ﷺ. وفي هذا السياق يقول القرطبي (4): "قد جاءكم من الله نور" أي ضياء. قيل : الإسلام، وقيل محمد عليه السلام عن الزجاج" ومما يرادف النور في هذه الآية السراج في قوله تعالى : ﴿يا أيها النبيء إنا أرسلناك شاهدا، ومبشرا، ونذيرا، وداعيا الى الله بإذنه وسراجا منيرا﴾(الأحزاب : 45-46).

ولا عجب أن يكون الرسول ﷺ في ميزان الحق سبحانه نورا ثم تأتي شهادات من الناس على تفاوت درجاتهم عند الله لتشهد له بهذه النورانية بشكل من الأشكال من ذلك.

أ - هو نور استجابة لدعوة الخليل إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك، ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم، إنك أنت العزيز الحكيم﴾(البقرة : 129).

ب- نور مصداقا لبشارة عيسى عليه السلام الذي جاء في القرآن على لسانه ﴿وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة، ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه أحمد﴾(الصف :6).

حـ- هو ﷺ نور والكتاب الذي جاء به ليعالج مشاكل الإنسانية نور، قال تعالى : ﴿فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا﴾(التغابن : 8).

وكان صحابته ﷺ يدركون فضل هذه النورانية على أرض الواقع، ولذا دونت في أشعار تلك اللحظة. قال كعب بن زهير:

إن الرسول لنور يستضاء به
مهند من سيوف الله مسلول

وقال آخر :

تنقل أحمد نورا عظيما
تقلب فيهم قرنا فقرنا
تلألأ في جباه الساجدينا
إلى أن جاء خير المرسلينا

تلك هي الشهادات المتظافرة على وصفه ﷺ بالنورانية، وإن كنا لا نحتاج إلى أية شهادة في هذا المقام بعد شهادة رب العالمين.

فالرسول ﷺ نور، ولذا كانت رسالته التي كُلف بتبليغها نورا وذلك بإخراج الإنسانية من الظلمات إلى النور. قال تعالى : ﴿ألر كتاب انزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور﴾(إبراهيم : 14). فماذا تعني هذه الظلمة التي أمر الرسول ﷺ بأن يخرج الناس منها؟

للقرآن الكريم أساليب لغوية، تميز مضامين خطابه عن أنواع الخطاب المعروفة في اللغة العربية، لأنه تنزيل من حكيم حميد، من ذلك كلمات : الضحى، والفجر، والليل، والعصر.. ذلك أنه رغم ما تقبله هذه الكلمات من الشروح التي لا تتطابق مع دلالة تسمياتها، فإن دلالتها الرمزية واردة، وهذا يمكن أن نفهمه من الاستعمال العام لكلمة الظلمة أو الظلمات في القرآن الكريم كالآية السابقة ﴿لتخرج الناس من الظلمات إلى النور﴾ وقوله تعالى : ﴿أن اخرج قومك من الظلمات إلى النور﴾(إبراهيم : 5). إن هذه الظلمات تعني المفاسد الاجتماعية بمفهومها الواسع.

1- تاريخ الإسلام إبراهيم حسن إبراهيم 1/1

2- معجم مقاييس اللغة حـ 1/ مادة بحث

3- لسان العرب لابن منظور حـ 2 مادة بعث (بتصرف)

4- الجامع لأحكام القرآن حـ 6

لـمحة تاريخية عن احتفال المسلمين بالمولد النبوي

د. يوسف العلوي

سئل رسول الله ﷺ عن صيام يوم الاثنين فقال: ذلك يوم ولدت فيه ويوم بعثت فيه أو أنزل علي فيه " رواه مسلم. ج6 ص56. باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر.

ولم يؤثر عنه عليه الصلاة والسلام فعل آخر أو احتفال خص به يوم ولادته، كما أن الصحابة رضوان الله عليهم لم يسجل عنهم أي اهتمام أو احتفاء بمولد الرسول ﷺ أو وفاته ,وكذلك جيل التابعين وتابعي التابعين وهي القرون الثلاثة المشهود لها بالخيرية في الحديث النبوي " خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم".

وسار الأمر على ذلك زمن بني أمية وبني العباس حيث كانت الأمة المسلمة أمة غالبة مزدهرة رائدة في مجالات العلم والاقتصاد والسياسة.

ولم يبدأ احتفال بعض المسلمين بالمولد النبوي إلا مع دولة الفاطميين الشيعية بمصر حيث كان الاحتفال بالمولد النبوي "ضمن ست مواليد هي : مولد الرسول ﷺ ومواليد آل البيت عليهم السلام :علي بن أبي طالب والحسن والحسين وفاطمة الزهراء والسادس مولد الخليفة الحاضر"كما يذكر ذلك الفقيه المؤرخ محمد المنوني رحمه الله في كتابه القيم : ورقات عن حضارة بني مرين، ص517.

ويظهر أن الفاطميين في فترة هيمنتهم على الحرمين استحدثوا بعض مظاهر الاحتفال بالمولد النبوي بمكة المكرمة على الأقل في النصف الثاني من القرن السادس الهجري حيث ترك لنا الرحالة الأندلسي ابن جبير وصفا لذلك وهو الذي زار مكة سنة 579 هجرية, ولاحظ أن البيت الذي ولد فيه رسول الله ﷺ :

"يفتح... فيدخله الناس كافة متبركين به، في شهر ربيع الأول ويوم الاثنين منه، لأنه كان شهر مولد النبي ﷺ، وفي اليوم المذكور ولد ﷺ، وتفتح المواضع المقدسة المذكورة كلها، وهو يوم مشهود بمكة دائما".رحلة ابن جبير ص86.

غير أن أشهر من احتفل بالمولد في المشرق هو ملك "إربل" مظفر الدين كوكبري(ت630هـ) صهر صلاح الدين الأيوبي، وله ألف الشيخ أبو الخطاب عمر بن دحية الكلبي(ت633هـ) - وأصله من سبتة- كتاب "التنوير في مولد السراج المنير". ولهذا العالم السبتي مؤلفات أخرى كثيرة في شخص النبي ﷺ منها: "سلسلة الذهب في نسب سيد العجم والعرب" و"المستوفى من أسماء المصطفى" و"الابتهاج في المعراج". كما يذكر ذلك العلامة عبد الله كنون في كتابه النبوغ المغربي في الأدب العربي ص154.

والظاهر أن انهزام المسلمين أمام الصليبيين أواخر القرن الخامس الهجري واحتلال النصارى لمدائن مهمة من بلاد الشام ومكوثهم الطويل بها واتصال المسلمين بهم ومعايشتهم قد أدى إلى تأثر بعض المسلمين بما يصنعه النصارى في أعياد ميلاد المسيح ويحيى بن زكرياء عليهم السلام فقلدوهم في هذه الاحتفالات.

أما ببلاد المغرب فالقرائن التاريخية تدل على أن مدينة سبتة -ردها الله دار إسلام-كانت رائدة في التنظير والدعوة والسبق إلى احتفال المغاربة بالمولد النبوي.

سبتة رائدة مدن المغرب في الاحتفال بالمولد النبوي :

كانت مدينة سبتة رائدة في هذا المجال بحيث سبقت غيرها إلى إبداع هذا النوع من المناسبات التي يحتفى بها بكل ما له علاقة بشخص النبي ﷺ، فقبل احتفال أهلها بالمولد النبوي منذ النصف الأول من القرن السابع الهجري، كان صوفيتها يحتفلون بعاشوراء ذكرى مقتل الحسين بن علي شهيد كربلاء على يد جيوش بني أمية زمن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ثاني خلفاء بني أمية، حيث أورد صاحب "التشوف إلى رجال التصوف" ص 271 في ترجمة الشيخ أبي عبد الله البيغي الكماد وهو من صلحاء سبتة أنه كان يصنع طعاما كثيرا في يوم من العام ويجمع عليه المريدين، يقول ابن الزيات: " وأكبر ظني أنه عاشوراء، وكان لا يتركه ولو احتاج فيه إلى الدين". وفي ترجمته للشيخ أبي العباس السبتي قال إنه "ذكر بمحضره فعل يزيد بالحسين رضي الله عنه فمازال يصيح: يا محمد، يا محمد، مالك أمة! إلى أن غشي عليه". التشوف ص474.

ولا شك أن سبتة أثرت في صلحاء الريف فبدأوا يحتفلون هم أيضا بعاشوراء كما يذكر عبد الحق البادسي في كتابه: "المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف" حيث "كان من عادة عباد بقوية وصالحيهم أن يجتمعوا ليلة النصف من شعبان وليلة سبع وعشرين من رمضان، وليلة عاشوراء في الرابطة المعروفة بأم اليمن"ص72

ثم أحدثت نفس هذه المدينة الاحتفالات بالمولد النبوي على يد أحد رموز العلم والصلاح بها وهو الشيخ أبو العباس العزفي(ت633هـ) الذي نظر لهذا الاحتفال بكتابه "الدر المنظم في مولد النبي المعظم"، وسن الاحتفالات الشعبية به قبل أن يفضي أمر سبتة إلى ولده أبي القاسم محمد سنة 648 هـ الذي دشن حكمه لها بترسيم الاحتفال بالمولد النبوي وإكمال كتاب والده "الدر المنظم في مولد النبي المعظم"، ودعوة الخليفة الموحدي عمر المرتضى لترسيم الاحتفال به في ربوع المملكة.

لعل السبب في ريادة سبتة لهذه الاحتفلات هو موقعها الجغرافي الذي جعلها أقرب المدن المغربية من الأندلس وأكثرها تفاعلا معها في كل الجوانب الفكرية والاجتماعية والسياسية، كما أنها أكبر ميناء مغربي على البحر المتوسط مما جعلها أكثر المدن تعاملا مع تجار النصارى الآتين من كل الممالك الأوربية المسيحية حيث كانوا يقيمون فيها لمدد طويلة، مما يعطي فرصا للتأثير المتبادل بينهم وبين الأهالي من المسلمين.

أما تأثر المدينة بعادات وأعياد المسيحيين فقد كانت السبب الأساسي الذي دفع الشيخ أبا العباس العزفي لسن الاحتفال بالمولد النبوي، وهو يصرح بذلك في مقدمة كتابه "الدر المنظم في مولد النبي المعظم"، حيث يستعرض المواسم التي دأب المسلمون بالأندلس وسبتة على الاحتفال بها، ويتابعون فيها المسيحيين في إقامة "النيروز" "والمهرجان" وميلاد السيد المسيح(1) عليه السلام، فدفعه هذا إلى التفكير فيما يشغل عن هذه البدع ويقضي على هذه المناكر، يقول العزفي عن ذلك: "فأمعنت النظر وأعملت الفكر فيما يشغل عن هذه البدع ويدفع في صد هذا المنكر، ولو بأمر مباح ليس على فاعله جناح مما تطمئن إليه نفوسهم وتمتد إليه أعناقهم وتميل رؤوسهم... فنبهتهم على ميلاد نبيهم المصطفى ﷺ سيد ولد آدم وخاتم النبيئين" الدر المنظم ص 31- 32.

إن الأمة المسلمة زمن قربها من قدوتها رسول الله ﷺ كان حبها له عمليا، تستلهم هداه وتقتفي نهجه...لكن لما طال علينا الأمد وساط علينا الوهن فاتبعنا سنن الذين كانوا من قبلنا شبرا بشبر، فلما رأيناهم احتفلوا بأعياد احتفلنا نحن بمثلها. فليت احتفالنا بالحبيب ﷺ يكون بالعودة إلى ما أنزل عليه للتحقق والتخلق به، وإلى هديه لاستنباط الهدى منه وإلى سيرته للسير على أثره ﷺ

● **أ- المولد النبوي بسبتة :**

تفطن صاحب "مشروع" الاحتفال بالمولد النبوي إلى أنه لضمان رسوخ هذه المناسبة واستمرارها لابد من غرسها في الأطفال منذ نعومة أظفارهم وهم تلاميذ في "المسيد" يحفظون القرآن، فأخذ الشيخ أبو العباس العزفي يطوف على الكتاتيب القرآنية بسبتة ويشرح لصغارها مغزى هذا الاحتفال حتى يسري ذلك لآبائهم وأمهاتهم بواسطتهم، لأنه رأى أن "تلقين ذلك للنشء الصغار أنجع وأنفع ممن غلب عليه سيئ العوائد من الكبار... ولا ريب أنهم أوعى للحفظ وأقبل . كما تقدم . للوعظ، وعلمت أن مكاتب المعلمين تجمعهم، وأن سواي لا يبلغهم ذلك كما أبلغهم، ولا يسمعهم إياه كما أسمعهم، فاحتسبت ذلك لنفسي وعممت بقصدي مكاتب البلد التي في أيام عمارتها تجمعهم، وبينت لهم السنن من أعمال أهل زمانهم في ذلك والبدع، ولم أذر شيئا يزرع في قلوبهم القبول ولم أدع، حتى سرى ذلك لآبائهم وأمهاتهم" الدر المنظم ص 48- 51

ثم دعا إلى جعل المولد النبوي يوم عطلة تعطل فيه الدراسة مثل عيد الأضحى وعيد الفطر، وقد عمل ولده أبو القاسم العزفي حين كان أميرا على سبتة (من عام 648هـ - إلى عام 677هـ) على تطوير الاحتفال وترسيمه، ولنترك المؤرخ ابن عذاري المراكشي في كتابه:"البيان المغرب" ص398 يصف لنا أهم مظاهر هذا الاحتفال في سبتة زمن أبي القاسم العزفي، يقول عنه "ومن مآثره العظام، قيامه بمولد النبي عليه السلام من هذا العام(648هـ): فيطعم فيه أهل بلده ألوان الطعام، ويؤثر أولادهم -ليلة المولد السعيد- بالصرف الجديد من جملة الإحسان عليهم والإنعام، وذلك لأجل ما يطلقون المحاضر والصنائع والحوانيت، يمشون في الأزقة يصلون على النبي عليه السلام، بالفرح والسرور والإطعام للخاص والعام، جار ذلك على الدوام في كل عام من الأعوام".

وإذا كانت احتفالات العزفيين أقرب إلى الاحتفال الرسمي منه إلى الشعبي، فإن الشيخ أبا مروان عبد الملك اليحانسي (ت667هـ) قد يكون أول صوفية المغرب الكبار الذين رسخوا هذا الاحتفال بين الصوفية، يقوي استنتاجنا هذا ماذكره البادسي في "المقصد الشريف" ص100 من أنه "لما استقر الشيخ عبد الملك بمدينة سبتة حرسها الله تعالى - صار يصنع ليلة المولد طعاما للفقراء يأكلونه، وكان طعامه الكعك والعسل، ويحضر تلك الليلة الفقراء والمحبون يعمل فيها السماع"

ومعلوم أن اليحانسي رجع من سياحته المشرقية في عشرينات القرن السابع الهجري ليستقر أخيرا بسبتة ويحتفل بالمولد النبوي ويترك لنا صاحبه وتلميذه أحمد القشتالي في كتابه : "تحفة المغترب ببلاد المغرب" ص35-34 وص108 وصفا مفصلا لاحتفالاته ومريديه وزواره بالمولد النبوي في الأندلس بمدينة وادي آش حيث "كان يحضر عنده المريدون والزوار من كل بلاد الأندلس ومن العدوة المغربية"، وكل من أتى يحمل معه هدية يساهم بها في الاحتفال كالشموع والبخور والنقود والطعام وغيره. يقول القشتالي عن شيخه اليحانسي: "كان رحمه الله يستعد لمولد النبي عليه السلام ما يكفي الواردين من الطعام، مع كثرة الترادف والازدحام، حتى كان له في بعض تلك المواسم ما يزري في الاستعداد باحتفال الناس في الأعياد، وإن كان أولئك الوراد يزيدون عن عشرة آلاف بأعداد، فكان يذبح لهم ما يكفيهم من البقر والغنم، فيأكل المحتقر والمحترم، والفقراء يقتربون إليه من البلدان فيردون على أخصب ما كان من بشاشة وبر وإمكان، فيبقى الإطعام والسماع في كل ناحية ثمانية أيام متوالية، فينصرف كل إنسان من أولئك الوراد بما اشتهى وأراد"

نستخلص من كلام البادسي والقشتالي أسبقية اليحانسي إلى الاحتفال بالمولد النبوي وإمكانية اعتباره "مؤسسا" لهذا الاحتفال لدى الصوفية - إذا اعتبرنا بني العزفي مؤسسي هذا الاحتفال لدى السلطة- وواضح المجهود الكبير الذي بذله الشيخ اليحانسي، وجدة هذه الاحتفالات لدى صوفية منتصف القرن السابع، بحيث يقصدون للاحتفال به رباط الشيخ من كل مكان بالأندلس والمغرب، أما رقم الزوار الذي تعدى -حسب مؤلف تحفة المغترب- عشرة آلاف زائر -مع إمكانية كونه مبالغا فيه- إلا أنه رقم معبر.

● **ب- المولد النبوي بفاس من خلال رسائل ابن عباد :**

ينطلق منظر الطريقة الصوفية الشاذلية بالمغرب الشيخ ابن عباد الرندي(ت792هـ) في حديثه عن المولد النبوي من قصة وقعت له مع شيخه ابن عاشر السلوي(ت764هـ) الذي نهاه عن صيام يوم المولد وغضب منه وعاتبه وقال له: "إن هذا اليوم يوم فرح وسرور يستقبح في مثله الصيام، بمنزلة يوم العيد" يذكر ذلك في رسائله الكبرى ص107

وسيرا على أثر شيخه، يرى ابن عباد أن: "المولد النبوي عيد من أعياد المسلمين وموسم من مواسمهم، وكل ما يفعل فيه مما يقتضيه وجود الفرح والسرور بذلك المولد المبارك من إيقاد الشمع، وإمتاع البصر والسمع، والتزين بلبس فاخر الثياب، وركوب فاره الدواب، أمر مباح لا ينكر على أحد" ص181، هكذا يقرر ابن عباد أن المولد النبوي عيد من أعياد المسلمين، ليرسخ بذلك لدى الصوفية عامة والشاذلية خاصة أهمية الاحتفال به. ومن

تتمة ص: 15

ذكرى مولد الرسول ﷺ وكيف نحتفل بها؟

ذ. أحمد المتوكل

تحل ذكرى مولد الرسول ﷺ بالمسلمين فيتهيئون للاحتفال بها كل على شاكلته حسب العادات والتقاليد، والأمر الذي يشترك فيه أغلب المحتفلين هو الطابع المادي الصرف، فيحيونها بالحلويات والمشروبات و الأمداح التي تلوكها الألسنة دون أن تؤثر في القلوب، إلى غير ذلك مما يتنافى مع جلال الذكرى وقدْر المحتفى به.

والسؤال الملح الذي يشغل كل محب حقيقي للرسول ولرسالته هو كيف نحتفل بهذه الذكرى في هذا الزمان؟ وكيف نشكر لهذا الرسول العظيم صنيعه ونوفيه حقه؟ هل بإقامة المأدبات الزاخرة بأصناف الأطعمة وأشكال الحلوى وأنواع المشروبات؟ أو بإحياء الليالي الساهرة بالأمداح والقصائد والأشعار والخطب في أوقات عابرة ثم نولي لها ظهرنا دون أن يكون لها أدنى أثر في نفوسنا؟، أو هل بقرع الطبول ونفخ المزامير وإيقاد الشموع وشرب الخمور وإقامة الاحتفالات الصاخبة الماجنة البعيدة عن هدي الرسول، وسنة أصحابه؟ وغير ذلك من الأمور المبتدعة.

والجواب : لا بهذا ولا بذاك.

وعلينا أن نسأل صاحب الذكرى، يا رسول الله أتليق بك احتفالاتنا؟ أتقبل منا ما نقوم به؟.

إن الاحتفال الصحيح في غاية البساطة لا يكلفنا نصبا ولا تعبا ولا مصاريف، إنه احتفال عملي وليس شكلي، سلوك واقتداء واتباع، وسيْرٌ على الخطى المباركة التي سار عليها هذا الإنسان الجليل، وحرْصٌ على الاستمرارية على النهج المحمدي والخط الإسلامي، يقول الله عز وجل:﴿**لقد كان لكم في رسول الله إسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا**﴾(الأحزاب :21)، وقال تعالى: ﴿**قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم**﴾(آل عمران : 31)، وعلى هذا الاحتفال سار الصحب الكرام والتابعون الأشراف، ما زاغوا ولا تنكبوا، احتفلوا طوال عهودهم بذكرى مولد حبيبهم عملا لا ادعاء، اقتداء لا انحرافا، احتفالا ملأ قلوبهم وبيوتهم ومساجدهم وحياتهم كلها، احتفل به الصديق عندما قال في بداية خلافته: "إنني متبع ولست بمبتدع، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله"، واحتفل به الفاروق بمنهج العدالة، واحتفل به عثمان بفتح الأمصار ونشر دعوته في الأقطار، وكذا علي وغيره رضي الله عنهم أجمعين من الأصحاب الأبرار، احتفلوا به داعمين لمنهجه، ناشرين لسنته، رافضين لما سواها.

يجب علينا -نحن أبناء الإسلام- أن نحيي هذه الذكرى أيام العام كلها وعلى امتداد ساعات اليوم، ونجعل منها مناسبة لتجديد العهد مع الله، وتجديد النية باتباع الرسول ﷺ ودراسة سيرته وفقه سنته والدفاع عنها، ورد شبهات الحاقدين عليها، والتخلق بأخلاقه والاهتداء بهديه، واعتبارها فرصة لإعلاء كلمة الحق وإطلاق حملات النصح للغافلين والناسين والشاردين والتنديد بخروقاتهم وانحرافاتهم إن لم يستجيبوا بعد النصح والإرشاد والتوجيه، وأن نعلن عن مقاطعتهم ومنابذتهم وعدم الولاء لهم، وأن نجعل من مناسبتها حدا فاصلا بين السكوت على الباطل والجهر بالحق وعدم الخضوع للظالمين والخضوع لله، وبين الجهل بالله والعلم بدينه، وبين المذلة والمهانة والسيادة والعزة وبين حياة الانهزام والشقاء وحياة التقدم والرخاء، وأن نفكر فيها في الخطط والبرامج لإعادة المجد لدين رسول الله ﷺ، والنهوض بهذه الأمة من كبوتها وإعادة مجدها الغابر وعزتها المفقودة وحياتها وحيويتها، وأن نتجنب حياة السلبية والتفرج، وأن نتصدى لكل المحاولات التي تعمل على هدم دين الله وسنة رسوله، وأن نقوم بمراجعة شاملة لأحوالنا ومواقفنا ونتحول بهذا الاحتفال بالماضي إلى الإعداد والتخطيط للمستقبل بكل جد وعزم وأمل، وأن نعمل على إحياء السنة التي بليت وأماتها الناس وأهملوها، وننهض بشعائر هذا الدين ونظهرها للناس حتى يعلموا جوانب العظمة في دين نبيهم فيهتدوا بهديه ويتخلقوا بأخلاقه فيكونون من الذين عزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه، ومن المفلحين.

ولن تتحقق هذه الأمور مادام الكثير من المسلمين لا يعرفون عن رسولهم ورسالته شيئا، وما دام من ينادي بفصل الدين عن الحياة وإبعاد القرآن والسنة عن معركتها.

ألا متى تنتهي الأمة عن الاحتفالات الرسمية الشكلية؟ وتبدأ عهدا جديدا وتعزم عزما أكيدا على الصلح مع رسول الله ﷺ؟ وبدء صفحة جديدة في حياة الإسلام؟ ومتى تقدر أيامها الخالدة وتعيد ما كان فيها من مآثر ومفاخر وأن تطيل الوقوف عندها بتدبر وإجلال؟، ومن هذه الأيام ذكرى مولد الرسول ﷺ.

احتفل به الصديق عندما قال في بداية خلافته: "إنني متبع ولست بمبتدع، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله"، واحتفل به الفاروق بمنهج العدالة، واحتفل به عثمان بفتح الأمصار ونشر دعوته في الأقطار، وكذا علي وغيره رضي الله عنهم أجمعين من الأصحاب الأبرار، احتفلوا به داعمين لمنهجه، ناشرين لسنته، رافضين لما سواها.

شهادات غربيين منصفين في حق رسول الله ﷺ

إعداد : ذ. عبد القادر لوكيلي

إلى كل الذين يشككون في قدرة هذا الدين على حل مشاكل الأمة بل مشاكل كل الناس مؤمنهم وكافرهم.

إلى كل شيوخ العلمانيين والعلمانيات والحداثيين والحداثيات الذين لا يتركون شاردة ولا واردة إلا اهتبلوها فرصة للغمز واللمز في هذا الدين تلميحا وتصريحا.

إلى أن قالت إحداهن أن شبابنا ومجتمعنا ليس في حاجة لاستلهام الهدى والصلاح من الماضي (وتقصد الدين).

إلى كل هؤلاء أقدم هذه الشهادات الرائعة لثلة من المفكرين والفلاسفة وأصحاب الرأي المنصفين من الغربيين في حق نبينا الكريم ﷺ وديننا القويم..

1- توماس كارليل (مؤرخ وكاتب إنجليزي) :

"لسنا نعد محمداً قط رجلا كاذبا متصنعا، يتذرّع بالحيل والوسائل إلى بُغيته، أو يطمع في ملك أو سلطان أو غير ذلك من الحقائر والصغائر، وما الرسالة التي أداها إلا حقّ صراح، وما كلامه إلاّ صوت صادق.. كلا، ما محمد بالكاذب ولا الملفّق، وإنما هو قطعة من الحياة قد تَفَطّر عنها قلب الطبيعة، فإذا هي شهاب قد أضاء العالم أجمع".

2- غوستاف لوبون (عالم اجتماع) :

"إنني لا أدعو إلى بدعة مُحدثة ولا إلى ضلالة مُتهجنة، بل إلى دين عربي قد أوحاه الله إلى نبيّه محمد فكان أمينا على بث دعوته بين قبائل تلهَّتْ بعبادة الأحجار والأصنام، وتلذذت بترهات الجاهلية. فجَمع صفوفهم بعد أن كانت مُبعثرة، ووحّد كلمتهم بعد أن كانت متفرقة ووجه أنظارهم لعبادة الخالق، فكان خير البرية على الإطلاق، حبا ونسباً وزعامة ونُبوّة. هذا هو محمد الذي اعتنق شريعة أربعمائة مليون مسلم منتشرين في أنحاء المعمور يرتلون قرآنا عربيا مُبينا".

3- لين بول (مفكر بريطاني) :

"كان محمد يتصف بكثير من الصفات، كاللّطف والشجاعة وكرم الأخلاق".

4- جورج بيرناردشو (أديب وكاتب مسرحي إنكليزي) :

"لقد درست محمداً باعتباره رجلا مُدهشا، فرأيته بعيداً عن مخاصمة المسيح، بل يجب أن يدعى مُنقذ الإنسانية، فأوروبا في العصر الراهن بدأت تعشق عقيدة التوحيد، وربما تذهب أبعد من ذلك فتعترف بقدرة هذه العقيدة على حل مشكلاتها".

"لو كان محمد بين ظهرانينا لاستطاع أن يحلّ جميع مشاكل العالم وهو يتعاطى فنجان قهوة".

"... ومهما يكن هناك من أمر فإن محمداً أسمى من أن ينتهي إليه الواصف، وخبير به من أمعن النظر في تاريخه المجيد الذي بوأه الصدارة حتى أصبح في طليعة الرسل ومفكري العالم".

5- جواهرلال نيهرو (رئيس الوزراء الهندي الأسبق) :

"كان محمد كمؤسسي الأديان الأخرى ناقما على كثير من العادات التي كانت سائدة في عصره، وكان للدين الذي بشر به -بما فيه من سهولة وصراحة وإخاء ومُساواة- تجاوب لدى الناس في البلدان المجاورة، لأنهم ذاقوا الظلم على يد الملوك الأوطوقراطيين والقساوسة المستبدين. لقد تعب الناس من النظام القديم، وتاقوا إلى نظام جديد، فكان الإسلام فرصتهم الذهبية لأنه أصلح الكثير من أحوالهم، ورفع عنهم كابوس الضيم والظلم".

6- ماركاديوك (ناشط أمريكي) :

"إن المسلمين يمكن أن ينشروا حضارتهم بنفس السرعة التي نشروها بها سابقا إذا رجعوا إلى الأخلاق التي كانوا عليها حينما قاموا بدورهم الأول. لأن هذا العالم الخلوي لا يستطيع أن يقف أمام حضارتهم".

7- لانبا كريكوريوس :

"لقد لقيت الأقليات غير المسلمة -والمسيحيون بالذات- في ظل الحكم الإسلامي الذي كانت تتجلى فيه روح الإسلام السمحة كل حرية وسلام وأمن في دينها ومالها وعرضها".

8- أرنولد توماس (مستشرق إنكليزي بارز) :

"إن الفكرة التي شاعت بأن السيف كان العامل في تحويل الناس إلى الإسلام بعيدة عن التصديق... إن نظرية العقيدة الإسلامية تلتزم التسامح وحرية الحياة الدينية لجميع أتباع الديانات الأخرى".

9- ألفريد كيوم (مستشرق إنكليزي) :

"لقد استقبل العرب -في الأغلب- في سوريا ومصر والعراق بترحاب لأنهم قضوا القضاء المبرم على الابتزاز الإمراطوري، وأنقذوا البيع المسيحية المنشقة من الضغط الكريه الذي كانت تعانيه من الحكومة المركزية، وبرهنوا بذلك على معرفة بالمشاعر والأحاسيس المحلية أكثر من معرفة الأغراب".

10- برناردشو :

"هو دين الديموقراطية وحرية الفكر، هو دين العقلاء... وليس فيما أعرف من الأديان نظام اجتماعي صالح كالنظام الذي يقوم على القوانين والتعاليم الإسلامية. فالإسلام هو الدين الوحيد الذي يبدو لي أن له طاقة هائلة لملاءمة أوجه الحياة المتغيرة وهو صالح لكل العصور".

● (بتصرف)

قسيمة الاشتراك

الاسم الكامل : .....

العنوان الكامل : .....

.....

الاشتراك السنوي (20 عددا) :

■ داخل المغرب : 60 درهما.

■ خارج المغرب : 20 أورو أو مايعادلها.

ترسل الاشتراكات باسم :

■ جريدة المحجة عن طريق الحوالة البريدية.

■ أو جريدة المحجة على حساب وكالة البنك الشعبي (الموحدين -فاس)

رقم: 2111113412900014

أما قسيمة الاشتراك والتوصيل فيبعثان إلى مقر الجريدة، على العنوان التالي : **جريدة المحجة (قسم الاشتراك) :**

حي عز الله، زنقة 2 رقم 3 - الدكارات - فاس - المغرب

على مطالع قرن جديد

5/4

أ. د. عماد الدين خليل

هل ثمة دين أو عقيدة أو مذهب اجتاز رحلة الأربعة عشر قرناً، أو حتى القرن والقرنين، دون أن تتشعب به المسالك وتنحرف الطرق وتضل الأهداف؟

عشرات الأديان والعقائد والمذاهب، قطعت خطوات قصيرة في الزمن والمكان، وما لبثت أن تعرّضت لأكثر من محنة، فلم تصمد لها، فتمزّقت وتفتّتت وانحرفت عن الطريق.. وعشرات غيرها أشبعها الوضّاعون والكهنة والمرتزقة دجلاً وشعوذة وترّهات، لتحقيق مصلحة أو تطمين حاجة، قبل أن تقطع بعضاً من الطريق الطويل.

والإسلام هو الإسلام.. وكتابه هو الكتاب.. وسنّته هي السنة.. وهدي خلفائه وعلمائه هو الهدْي.. ليس ثمة إسلامان ولا كتابان ولا سنّتان ليس إلاّ إسلام واحد وكتاب واحد وسنة واحدة.

يمضي على ذلك أربعة عشر قرناً، أو أربعة عشر ألفاً من السنين فالأمر سواء.

إن هذا الدين يحمل عوامل ديمومته واستمراره، وهذا أمر بديهي، فما دام الله سبحانه قد أراد له أن يكون الدين الأخير، فمعنى هذا أنه سبحانه قد أمدّه بعناصر القوّة والشمول والحيوية والديناميكية ما يجعله قديراً على التواصل مع أجيال البشرية المتعاقبة، جيلاً بعد جيل.. وسواء مرّ على ظهور الإسلام قرن واحد أم أربعة عشر قرناً أم مائة وأربعون قرناً، فإن هذا الدين سيظل يحمل ما منحه الله سبحانه إياه من قوة وحيوية قديراً على الصمود حيثما يجب أن يكون الصمود، بصيراً بمطالب الحياة البشرية في كل مكان، متمكناً من الامتداد والانتشار هنا وهناك.

إنه دين الفطرة الذي يتعامل مع الإنسان بما هو إنسان معجونة في تكوينه قوى الروح والمادة، والطبيعة والغيب، والثبات والحركة، والغرائز والأشواق، والفاني المحدود بالأزلي الخالد.

ويتعامل مع الطبيعة والعالم كشفاً عن سننهما ونواميسهما التي أودعها الله فيهما، وسعياً من أجل تحقيق الوفاق المرتجى بين الإنسان والعالم..

ويتعامل مع التاريخ بما أنه حركة دائمة متجددة لا تعرف حراناً ولا سكوناً.. إنه المنظور الإلهي المعجز الذي يعرف كيف يتعامل بهذا الدين مع الإنسان، والطبيعة، والتاريخ.. وإنه لن يخشى أبداً على دين يعرف كيف يمدّ جناحيه لكي يغطي مطالب هذه الأقطاب جميعاً..

فما دام الله سبحانه قد صممّ هذا الدين و"أكمله" على يديْ رسوله الكريم ﷺ ليكون دين البشرية الأخير، فمعنى هذا أنه قد أريد له أن يظل باقياً ما تنفّس إنسان على وجه البسيطة.. دائماً ما طلعت الشمس من مشرقها.. خالداً ما دامت السماوات والأرض.

وعبر الأربعة عشر قرناً التي انقضت أثبت هذا الدين قدرة فذّة على قبول التحديات، وهضمها وتمّثلها، سلماً وحرباً..

لقد جوبه هذا الدين منذ فجره المبّكر بردّة شرسة قاسية، فاستجاب لها وخرج منها أكثر صلابة وتوحداً، وانطلق إلى العالم غير عابئ بنذر كسرى وقيصر.. فلما تمّ له الانتصار عليهما عبر فترة زمنية قياسية، عرف كيف يفتح صدره لتراث الأمم والشعوب ومعطياتها الحضارية، وكيف يتعامل معها وفق معاييره الواضحة الحاسمة فيأخذ ما يمكن أخذه ويرفض ما يتحتم رفضه.. إنه ها هنا في ساحات السلم والعطاء، كما هو هناك في ساحات الحرب والشهادة قدير على الاستجابة للتحديات، غير هارب منها أو ناكص عنها، إنه دين التقدم والحركة والاقتحام، وهو يملك من عوامل القوة والأصالة والشمول ما هو قدير بها جميعاً على أن يصهر كل ما يعترض طريقه ويعيد صياغته وفق معادلاته المتميزة.

وطيلة القرون التالية وهو يتعرض لضغوط وهجمات قوى كانت في كثير من الأحيان تفوقه عدّة وعدداً.. ولكنه كان دائماً المستجيب لتحدّيها، المتقدم لمجابهتها، والمنتصر عليها في نهاية الأمر.. وليس ثمة من لا يعرف الذي فعله هذا الدين وأتباعه إزاء هجمات الصليبيين وغزو المغول.. ردّ أولاهما على أعقابها، واحتوى الثانية، فإذا بالغالب القاهر يتقبّل الانتماء للدين الذي تصوّر أنه غلبه، ويخضع له ويطيع.. وهي تجربة تاريخية تكاد تكون (نادرة) بين التجارب.. أن يخضع الغالب للمغلوب.. ولكنها في حقيقة الأمر ليست نادرة.. فإن السرّ يكمن في عبقرية هذا الدين !!

الإسلام هو الإسلام.. وكتابه هو الكتاب.. وسنّته هي السنة.. وهدي خلفائه وعلمائه هو الهدْي.. ليس ثمة إسلامان ولا كتابان ولا سنّتان ليس إلاّ إسلام واحد وكتاب واحد وسنة واحدة. يمضي على ذلك أربعة عشر قرناً، أو أربعة عشر ألفاً من السنين فالأمر سواء.

خروق في سفينة المجتمع

7

من الاكتئاب إلى الانتساب

د. عبد المجيد بنمسعود

الخروق التي يمكن أن تتعرض لها سفينة المجتمع وهي تمخر عباب الحياة، وتواجه لججها العاتية وأمواجها المتلاطمة قد لا يأتي عليها العد والإحصاء، وهي متفاوتة في درجة خطورتها ومساسها بأمن تلك السفينة وجوهر كيانها ووجودها، فمنها ما يصيب الأعمدة والأضلاع، ومنها ما يتجاوز ذلك وغيره لينفذ منها إلى السويداء، وعندما يحدث ذلك، تكون السفينة على خطر من أمرها، لأنها وإن لم تكن قد شارفت آنئذ على الانهيار الوشيك أو الهلاك التام، فإنها تكون قد حملت في جوفها بذور ذلك والقابلية لوقوعه، في لحظة من ليل أو نهار، ما لم تحل دون ذلك عوامل مستكنة في باطن السفينة، أي في أعماق أهلها ممن يقع جمهور عريض منهم تحت طائلة تلك الخروق الموسومة بالخطر، ومن تلك العوامل ما يتعلق بطبيعة معادن أفراد ذلك الجمهور، وحظها من الصلابة أو القدرة على مقاومة عناصر الهزيمة والفناء. ومن الثابت الأكيد، أن الذين هم مؤهلون للذود عن السفينة، وفعل الممكن والمستحيل، لافتكاكها من بطش الأمواج، ولإطالة أمد الصراع، إلى أن تلوح في الأفق بارقة من بوارق الأمل والانفراج، إنما هم هؤلاء الذين يحملون في أعماقهم بذرة الصمود والاستعصاء، في وجه الأعاصير والأنواء.

إن كل من عايش أحوال سفينة الأمة العربية المسلمة وهي تعبر البحار والمحيطات، والمضايق والخلجان، وتخضع لتياراتها المتشابكة والمتضاربة، واستمع بعمق إلى هديرها، وما كان ينبعث منها من أصوات، ويتردد في فضاءاتها من أصداء، يشهد أن ظلمة حالكة السواد قد اكتنفتها من كل جانب، وحاصرتها حيثما ولت وجهها، في حركة فوضاوية بلهاء.

عرض أمر هذه الظاهرة المحيرة على أطباء وخبراء، ظلوا يبكون أهلها المساكين، ويأسون لحالهم، وبلغت صرخاتهم عنان السماء، وضجت لها الحيتان ووحوش غابات المعمور، وهم يبذلون صادق نصحهم وعصارات أفكارهم، من أجل تحريرهم من تلك الغمامة السوداء، التي طالما أمطرت على السفينة أصنافا من الجراثيم والحشرات، تنزل في زخات عنيفة مع المياه الملطخة السوداء، ونفثت في جموعها الغفيرة أبخرة كريهة اختنقت لها الأنفاس، فقضى جراء ذلك خلق كثير من الأطفال والعجزة والنساء، قلت: عرضت تلك الظاهرة الغريبة المحيرة على هؤلاء الأطباء والخبراء الصادقين الأوفياء، فأخذوا عينة من الغمامة السوداء، وأدخلوها إلى مختبراتهم للمعايرة والتحليل، ثم التفسير والتعليل، وإن كانوا بحكم رهافة حسهم، وفراستهم التي لا تخطئ، يتحسبون لما حدث، وكأنهم يرونه رأي العيان، وما أكثرما أنذروا قومهم لعلهم يرعوون أو يرجعون، فخرجت نتائج التحليل مصدقة لما عبر عنه هؤلاء الخبراء الناصحون، وما راكموه من بيانات وتقارير: إنه داء عضال، اسمه "الاكتئاب" "وله اسم علمي آخر في دوائر العلماء وأهل الاختصاص هو "داء فقدان الانتساب المكتسب"، وهو شبيه في كثير من خصائصه بداء فقدان المناعة المكتسب. لقد بدأت أعراض هذا الداء في الظهور والانتشار، وسط قطاع عريض من أهل السفينة: انكسافا في الوجوه ، وتغضنا في الأسارير، وشعورا بالغم والاختناق يلازمهم في أغلب الأحيان، يجثم على صدورهم كالكوابيس، ويطاردهم مطاردة الأشباح، كان السبب وراء هذا الداء الوبيل حسب تقارير المحللين والدارسين، تلاقح بين جرثومتين وبائيتين خطيرتين، "جرثومة الاستبداد والطغيان وفتح صنبور الشهوات"، و"جرثومة تجفيف منابع التدين المنهجي" اللتين فعلت فعلهما المدمر الرهيب، الذي لم يسلم منه صغير ولا كبير، وأخذت رقعة الإحساس بفقدان المعنى في الاتساع، وانعكس ذلك في نزوع طاغ للانتقال من الشعور بالانعدام، إلى معانقة الإعدام، سرى في طبقات السفينة سريان النار في الهشيم، فعم فيها البكاء والنحيب، وضجت تحت جبال من الأنين والآلام. تعطلت الطاقات، وتعرضت محركات السفينة لشلل شبه تام، وكادت تفرغ عنابر السفينة وخزائنها من التموين اللازم لإمساك أهلها بتلابيب الحياة، بدأ الأمل في التلاشي من أفئدة الناس، ولم يسلم حتى حكماء القوم، في بعض لحظات الإبحار، من شعور بالقنوط يداخل نفوسهم الملأى بالأمل واليقين، كادت السحابة السوداء تحجب عن السفينة أشعة الضياء وزرقة السماء، تضرع الشيوخ والشباب، وتضرعت النساء والأطفال، وتحلقت أنواع كثيرة من الطيور البيضاء في شكل صفوف وأسراب، تطلق أصواتا خاشعة شجية: آب آب آب، اهتز كل من في السفينة لهذا النداء العجيب، ثم انطلقت من أعماقها وطبقاتها أصوات عذبة شجية تتغنى بالقرآن، يتلو بعضها البعض في موجات من النور، ﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أيمة ونجعلهم الوارثين، ونمكن لهم في الارض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾(القصص : 4- 5)، ﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون﴾(الأنبياء : 18) بعد موجة حارة من البكاء، عادت البسمة إلى الوجوه والشفاه، انفتحت الأسارير، وسمعت من وراء ستار زغرودات القوارير، عم جنبات السفينة موجة من البهجة والسرور، سرى فيها دبيب غريب، تحسس الناس صدورهم ووضعوا أيديهم بانفعال شديد، وفي حركة لاشعورية على أفواههم، أبصروا أمرا عجبا: أبخرة سوداء تخرج من أفواههم، تلاشت شيئا فشيئا، أحسوا بعدها بخفة في الأجسام وصفاء في الأرواح، **تبدلت السفينة غير السفينة، هبت عليها رياح طيبة ذات ربيع ، تحمل بين جوانحها حبوب اللقاح، وورودا بلون الدم القاني تحمل ألف جناح وجناح، انقشع جزء هام من السحابة الدكناء، ﴿فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا﴾(الرعد : 19)، لقد ولى زمن الاكتئاب، وجاء زمن الانتساب،** سيقت السفينة إلى مرفأ أمين لترمم منها الأضلاع، وتكسى ألف شراع وشراع، حينها ركض خلق كثير بأرجلهم في نهر شديد العذوبة والصفاء، ليتخلصوا مما علق بأجسادهم واستكن في أرواحهم من بلاء، هفت النفوس واشرأبت الأعناق، تسأل العز والأمان، من خالق الأكوان ومنزل الأرزاق.

نافذة المرأة المسلمة

أوراق شاهدة

ذة. فوزية حجبي
al.abira@hotmail.com

فتح الله كولن وعظمة الإنفاق للدين

ونحن نجتاز هذه الفترة العصيبة من التمزق، وانشطار القلوب وتسامق الأهواء والنزعات الأكثر غرابة وجاهلية، وأمام خوفنا من تكاثر الخبث كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ فنهلك أجمعين، تتسرب من غياهب الحلكة الدامسة أنوار مصابيح المستغرقين بوظيفة الخلافة، تقود خطواتنا الوجلة إلى رحاب الخير والأمل، في ضيافة عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما. إنهم دعاة مودة ورحمة لرؤيتهم يذكر الله عز وجل، وتنحسر أشباح الأخسرين أعمالا من الفتانين الذين يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

وكما جلت بك قارئي في حلقة سابقة في بستان الجهد للدين، مع أحد أجمل المصابيح : فاضلنا الأستاذ فتح الله كولن، أعود بك لجولة أخرى لن تكون غير إطلالة عابرة في رياض السيرة المبهرة لشيخنا كولن، إطلالة نحاول من خلالها وعبر مجموعة من المواقف الخارقة الحس الأخلاقي معرفة ملامح النموذجية الرفيعة التي جعلت كولن يكون من أكثر الشخصيات العالمية تأثيرا وسحرا للقلوب، وكما قلنا في حلقة ماضية فإن سيرة شيخنا عبر رواية "عودة الفرسان" تجعلنا بلمسة عبقرية فذة من قلم المرحوم الجليل السيرة الدكتور فريد الأنصاري، نستشف مدى تأثير بصمة القرآن الكريم والسيرة النبوية في العصارة الفكرية والسلوكية للأستاذ كولن، لا من خلال الجهد العلمي والدعوي للدين كما أسلفنا في الحلقة الماضية فحسب بل من خلال الإنفاق المادي للدين أيضا. ويروي كاتب سيرته الدكتور فريد الأنصاري أن الشيخ كان يأخذ ماله القليل الذي يتقاضاه من اشتغاله بالتأطير الديني لشراء جرائد ومجلات وكتب وأشرطة يوزعها على الشباب بالمجان ثم يبيت ذاكرا قائما عاصب البطن، مأروقا بالهم للدين، هم ابتكار الطرق الأنجع للإحسان، لبعث الشعور الديني المحاصر بين كماشتي المد العلماني التركي شاحذا جسده للسجون والمنافي والتنقيلات التعسفية من مدينة إلى قرية إلى مدينة، تتربص به المخابرات لمصادرة كتبه ورسائل النور المشعة إشراقات ربانية، وتوريطه في جنحة امتلاك كتاب القرآن الكريم للتنكيل الأشد به (نحن الذين نملك بكل حرية على امتداد العالم العربي ملايين النسخ وقد اتخذناها مهجورة يا حسرة).

كما شحذ فكره العملاق للنظر في معالم وخفايا القرآن "المصانة المعاني لأولي الألباب" مع بذل الجهد الدؤوب لإنفاق خطوات الأرجل والكلمة الطيبة والتوجيه التربوي عبر الموعظة والمقالة والكتاب، لتصحيح مسار العاملين للدين ورأب صدع العلاقات بين الإخوة داخل الحركة الإسلامية التركية المجاهدة. وبصيغة أخرى فقد جرب الشيخ الجميل المجاهد كل سبل الإنفاق للدين في جهاد استثنائي فريد، وفي هذا السياق وعبر مقالة من مقالاته العميقة الأبعاد، القوية الدلالات، الجمة الرسائل الإنسانية بمجلة حراء، وضع الأستاذ فتح الله كولن أمد الله في عمره بين أيدينا جملة من التصورات النورانية المستقاة من كتاب الله عز وجل حول مفهوم الجهاد الحق، ذلك المفهوم الذي مسخته الآلة الإعلامية الغربية فغدا بعبع المسلمين بعد أن كان مصدر فخرهم وعزتهم. يقول فتح الله كولن: (نعم إن القرآن جاء بمفهوم مختلف للجهاد من حيث كنهه ونكتته، جهاد تحفيز الناس ليتعرفوا على أنفسهم وذواتهم وجهاد إنشاء العلاقة مع الوجود كله وجهاد التمرد على الجسمانية والنفسانية وجهاد أن ينتصر المؤمن على نفسه ويفتح قلعة ذاته من الداخل وجهاد الاستعداد المستمر واتخاذ الموقف الواضح ضد كل العواطف والغرائز التي تهبط بالإنسان من أمثال العداوة والحقد والكراهية والشهوة والضغن والحرص والحسد، وجهاد أن يربط كل أحد نفسه بفكر سام وهدف عال.. وجهاد تخطي كل المخاوف والتطلعات وجهاد اعتبار الدنيا غرفة انتظار للآخرة وإحياء الأخرويات وإعمار ماهنا كسبيل إلى ماهناك إلى غير ذلك من أنواع الجهاد الكثيرة)، وتحضرني بالمناسبة توصيات عجيبة للداعية والمفكر العالم د راتب النابلسي، يحث فيها المسلمين الرساليين على المسارعة إلى أعمال الخير المنتجة والنوعية، عبر قصص واقعية في السياق، كبناء المؤسسات التعليمية على سبيل المثال وكتابة القصص التربوية للأطفال وتوزيعها الواسع وبالمجان على الناشئة، وتنويع دوائر الدعوة (وكل ينفق مما عنده)، حتى الأطفال بتحفيزهم لوقف جزء من مدخرات حصالاتهم للإسهام في بناء مشاريع نهضة الأمة..

وبالعودة إلى الأستاذ كولن فقد استحضر شيخنا الجليل حمولة وقع الإنفاق لأجل الدين من منطلق تشبعه بالإرث القرآني والنبوي فنفث روحه السخية في أرواح محبيه من الأغنياء فسارعوا للإنفاق الراشد ببناء المؤسسات العلمية النوعية لإعادة الروح والعزة الدينية إلى إمبراطورية الفاتح..وكان من ثمار غراس تلك الروح إنجاب تركيا لعظماء من الزمن الحاضر تشربوا روح العزة تلك، حتى أن رجلا عزيزا فيهم يدعى طيب أردوغان (في سابقة لم تحصل أبدا)، أجبر زعيما صهيونيا على عض لسانه حنقا وهو يذله ويستصغره أمام كبار العالم المهووسين بتقديم فروض الطاعة للكيان الصهيوني بمناسبة وبغير مناسبة.

وإذا كانت قوى الباطل على سبيل الذكر، تسعى لإفساد أرواح وقلوب المستغفلين من أبناء الأمة، من خلال إنزال غير مسبوق لإنتاجات سينمائية تركية هابطة القيم كما يحدث في جل مناطق العالم العربي الإسلامي الآن، فإن الشيخ الجليل فتح الله كولن لا زال راهب ليل وفارس نهار، ينحت بالمقابل، قلوب وهمم مخلوقات النور الربانية بالملايين عبر العالم رفقة الأحبة من فرسان النور ويستتبع الكلمة النفاثة، بالدمعة، بالخلوة مع الله سبحانه.. فكيف يشقى من كان الله وليه، وكانت تلك صفاته ومنهجه، وكان أمامه كتاب الله وسيرة خير خلق الله، ومن ورائه تحت تراب النور رجل رباني عارف بأَلاعيب المفسدين يدعى بديع الزمن النورسي يلَهمه العزم للتزود المتواصل من المعين النبوي وهويصيح بالمفسدين من أصحاب سينما الخلاعة وأشياعهم في كل المواقع (يا أبناء الوطن لا تفسروا الحرية تفسيرا سيئا كي لاتفلت من أيديكم ولا تخنقونا بسقي الاستعباد السابق الفاسد في إناء آخر ذلك أن الحرية إنما تزدهر بمراعاة الأحكام الشرعية وآدابها والتخلق بالأخلاق الفاضلة).

قمصان يوسف (تتمة)

وهرب خارجاً صاحت بأهل بيتها وقالت لهم: انظروا كيف جاءنا برجل عبراني ليتلاعب بنا، أتاني ليضاجعني فصرخت بصوت عال. فلما سمعني قد رفعْتُ صوتي وصرخت ترك رداه بجانبي وفر" هارباً إلى الخارج. ووضعت رداءه بجانبها متى قدم مولاه إلى بيته. فكلمته بمثل هذا الكلام وقالت أتاني العبد العبراني الذي جئتنا به ليتلاعب بي. وكان عندما رفعت صوتي وصرخت أنه قد ترك رداءه بجانبي وهرب خارجا. فلما سمع مولاه كلام امرأ ته الذي أخبرته به قالت كذا صنع بي عبدك استشاط عليه غضبا. فأخذ يوسف مولاه وأودعه الحصن حيث كان سجناء الملك مقيدين. فكان هناك في الحصن»(التوراة : 7- 20).

وهكذا نرى مرة أخرى كيف أن ما كان من حقه أن يكون شهادة براءة يتحول إلى شهادة إدانة. لقد كان القميص الذي جاء إخوة يوسف عليه بدم كذب شهادة براءة في القصة القرآنية، وتحول في القصة التوراتية إلى شهادة إدانة. ومع امرأة العزيز كان اللباس في القصة القرآنية قميصاً قُدّ من دبر، برأ به الله به يوسف عليه السلام من تهمة الخيانة، فتحول إلى رداء يقوم شاهد زور على يوسف.

تنتهي القصة القرآنية باعتراف امرأة العزيز بخطيئتها وتبرئة يوسف عليه السلام، قبل أن يمكّن له في الأرض:

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ من سُوءٍ قَالَت امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَاْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(يوسف : 50- 52). وهذه صورة عالية من صور التوبة.

وأما القصة التوراتة فقد ضربت صفحاً عن كل ذلك وسكتت عن أمر الاعتراف والتوبة، وقفزت إلى أن يصبح يوسف ممكناً له في الأرض بعد تأويل رؤيا الملك.

● **قميص البشرى:** هو القميص الثالث في القصة القرآنية، وخبره كما يلي:

﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ اللّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ قَالُواْ أَإِنَّكَ لأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَاْ يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ قَالُواْ تَاللّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ قَالَ لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ اذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أَن تُفَنِّدُونِ قَالُواْ تَاللّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلاَلِكَ الْقَدِيمِ فَلَمَّا أَن جَاء الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ (يوسف : 88- 96).

فهذا القميص الثالث، هنا أيضا، يكون له أثر محوري، ويكون حاملا البشرى بتحقق كل ما كان يرجوه أبو يوسف، بأن رد الله عليه بصره، ورد عليه أبناءه الثلاثة، وشهد تحقق الرؤيا التي بدأت بها السورة: ﴿إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين﴾.

أما القصة التوراتية فقد سكتت البتة عن أمر القميص الثالث، وإن كانت قد أشارت إلى الثياب في أكثر من موضع، إلا أنها إشارات لا تقدم ولا تؤخر، مثل هذا الذي نقرأه: «وبعثوا بالقميص الموشى» «ومزق يعقوب ثيابه» «ونزع فرعون خاتمه من يده وجعله في يد يوسف وألبسه ثياب بزّ وجعل طوقا من الذهب في عنقه» «فمزقوا ثيابهم وحمّل كل واحد حماره ورجعوا إلى المدينة» «وأعطى كل واحد منهم حلل ثياب، وأعطى بنيامين ثلاث مائة من الفضة وخمس حلل ثياب».

وهذه كلها، كما نرى، تفصيلات لا تؤثر شيئا في مسار القصة.

آيبون... تائبون!

ذة. نبيلة عزوزي

32– لن أكون مفلسة

"إني أستمتع بتعذيبها.. أعاملها كآلة.. أثقل كاهلها بأشغال لا تنتهي.. لا يعجبني منها العجب العجاب.. دائما أنتقدها نقدا جارحا.. وكلما تفانت في إرضائي، عبرت لها عن سخطي..."

ردت صديقتها ببرودة: "كم هي محظوظة خادمتك.. إنك تهدينها حسناتك، وتأخذين سيئاتها.. العيب فيك أنت"..

اشتاطت غضبا.. كيف تتحيز صديقتي للخادمة؟ تابعت صديقتها حديثها: "ألم تقرئي سيرة الرسول ﷺ، وكيف كان يعامل خادمه؟ ألم تقرئي حديث : من هو المفلس..؟ اتقي الله في نفسك.. غضبت وأقسمت أن تقاطع صديقتها.. لكن الله عز وجل أبى إلا أن يبعث لها رسالة تذكرها : كانت أمام التلفاز تتنقل بين قنوات فضائية.. فجأة، شدها عمل درامي عن خامس الخلفاء الراشدين.. كان الممثل -الذي تقمص الشخصية- يقوم بأعماله بنفسه، ولم يوقظ خادمه.. تأسيا برسول الله ﷺ.. ومضى الممثل يتحدث عن معاملة سيد الخلق، عليه وعلى آله وصحبه الصلاة والسلام، للخدم...

استرجعت كلام صديقتها.. أفاقت من غيها.. بكت على نفسها.. خادمات كثيرات لا تتذكر عددهن ولا أسماءهن.. غادرنها لسوء معاملتها..

ربتت على مساعدتها.. احتضنتها معتذرة لها.. سجلتها في محو الأمية، وفي الضمان الاجتماعي.. وأصبحت تعاملها معاملة حسنة... وشكرت صديقتها التي تذكرها دائما بمرضاة الله عز وجل... فشعرت بصفاء داخلي، وبسعادة عميقة.. لكنها بدأت منافسة قوية مع خادمتها تلك.. فلحقت بها إلى دار القرآن، لتتعلم كتاب الله حفظا وتجويدا.. وبعد أن كان صدى صراخها فيها يتردد في بيتها.. أصبحتا معا تتغنيان بالقرآن...!!

إعداد : الدكتور عبد الرحيم الرحموني

مولد النبي ﷺ

قالوا: وُلد رسول الله ﷺ عام الفيل لاثنتي عشرةَ ليلةً خلت من ربيع الأول.

وأوحى الله إليه وهو ابن أربعين عاماً. وهاجر إلى المدينة يومَ الاثنين لثلاث عشرة خلت من ربيع الأول. ومات يومَ الاثنين لثلاثَ عشرةَ خلت من ربيع الأول، اليوم والشهر الذي هاجر فيه ﷺ.

جعلنا اللّه ممن يرد حوضَه، وينال مُرافقته في أعلى عليين من درجات الفِرْدوس، وأسأل اللّهَ الذي جعلنا من أمته ولَم نَره أن يتوفّانا على ملّته، ولا يَحْرمنا رُؤْيته في الدُّنيا والآخرة.

● العقد الفريد لابن عبد ربه

باب أدب النبي ﷺ لأمته

قال النبي ﷺ فيما أدّب به أمته وحَضها عليه من مَكارم الأخْلاق وجَميل المعاشرة وإصلاح ذات البَيْنْ وصلَة الأرحام: أوْصاني ربّي بتسْع، وأنا أوصيكم بهَا: أوصانَي بالإخلاص في السر والعَلانية، والعَدْل في الرِّضا والغَضب، والقَصْد في الغنَى والفَقْر، وأن أعْفُو عمن ظَلَمني، وأعْطي مَن حَرمني، وأصل مَن قَطعني، وأن يكون صَمتي فكْراً، ونُطْقي ذكْراً، ونَظَريَ عبَرا.

وقد قال ﷺ: نَهيتُكم عن قيل وقال وإضاعة المال وكثرة السؤال.

وقد قال ﷺ: لا تقْعدوا على ظُهور الطُّرق، فإن أبَيْتم فغُضُّوا الأبصار، وأفشُوا السلام، واهدوا الضالَّ، وأعينوا الضعيف.

وقال ﷺ: أَوْكُوا السِّقاء، واكْفَئُوا الإناء، وأَغْلقوا الأبواب، وأطفئوا المصْباح، فإن الشيطان لا يَفْتح غَلَقاً، ولا يحل وكاءً، ولا يَكْشفَ الإناء.

وقال ﷺ: ألا أنَبئكم بشرّ الناس؟ قالوا: بلى يا رسولَ اللهّ، قال: من أكل وَحْدَه، ومَنَع رِفْده، وجلَد عبدَه. ثم قال: ألا أُنبئكم بشرّ من ذلك؟ قالوا. بلى يا رسول اللّه، قال: "من لا يُقيل عزة ولا يقبل مَعْذرة". ثم قال؛ ألاَ أنبئكم بشرّ من ذلك؟ قالوا بلى يا رسول الله". قال: مَن يُبغض الناسَ ويُبْغضونه.

وقال: حَصِّنوا أموالَكم بالزّكاة، وداوُوا مَرْضاكم بالصدَقة، واستَقْبِلوا البَلاء بالدُّعاء وقال: ما قَلّ وكَفي خير مما كثر وألْهى.

وقال المسْلمون تَتكافأ دماؤُهم، ويَسْعَى بذمَّتهم أدْناهم، وهُمْ يَدٌ على مَن سواهم.

وقال: اليَدُ العُلْيا خيرٌ من اليد السُّفْلى.

وقال ": وابْدَأ بمن تَعول.

وقال: لا تَجْن يَمينُك على شِمالك، ولا يلدغ المُؤمن من جحر مرتين.

وقال: المَرْء كثيرٌ بأخيه.

وقال: افصلُوا بين حَديثكم بالاستغفار، واسْتَعينوا على قضاء حَوائجكم بالكتمان.

وقال: أَفضل الأصحاب من إذا ذَكَرْت أعانك، وإذا نَسيت ذَكرَّك.

وقال ﷺ: يقول ابن آدم مالي مالي، وإنما له من ماله ما أكل فأفْنى، أو لَبِسَ فأبلَى، أو وهب فأمْضى.

وقال: سَتَحْرصون على الإمارة، فنِعمت المُرْضعة وبئست الفاطمة.

وقال: لا يَحْكم الحاكم بين اثنين وهو غَضْبان.

وقال: الناس كإبل مائة لا تَكاد تَجد فيها راحلةً واحدة، والناس كلّهم سواء كأسنان المُشْط.

وقال: رَحم الله عبداً قال خيراً فَغَنم أو سَكَت فَسَلم.

وقال: خَيْر المال سكَة مَأْبورة، ومُهْرة مَأْمورة، وخير المال عَينٌ ساهرة لعَين نَائمة.

وقال: ما أملقَ تاجرٌ صدُوق، وما أقفر بيتٌ فيه خَلّ.

وقال: قَيّدوا العلم بالكتابة.

وقال: زُر غِبّاً تَزدَدْ حُبًّا.

● العقد الفريد لابن عبد ربه

مما فُضِّل به الرسول ﷺ

عن أبي هريرة، أن النبي ﷺ، قال: «فضلت على الأنبياء بست: أُعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب. وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً؛ وأرسلت إلى الناس كافة، وختم بي النبيون».

● المحلى لابن حزم

عبد المطلب ومولد الرسول ﷺ

لما ولدت آمنة بنت وهب رسول الله ﷺ، أرسلت إلى عبد المطلب فجاءه البشير وهو جالس في الحجر معه وُلده ورجال من قومه، فأخبره أن آمنة ولدت غلاما، فسُرّ بذلك عبد المطلب، وقام هو ومن كان معه، فدخل عليها، فأخبرته بكل ما رأت، وما قيل لها، وما أمرت به، قال: فأخذه عبد المطلب، فأدخله الكعبة، وقام عندها يدعو الله ويشكر ما أعطاه، قال: أخبرنا محمد بن عمر الأسلمي، قال: وأُخبرت أن عبد المطلب قال يومئذ :

الحمد لله الذي أعطاني
هذا الغلام الطيب الأردان
قد ساد في المهد على الغلمان
أعيذه بالله ذي الأركان
حتى أراه بالغ البنيان
أعيذه من شر ذي شنآن
من حاسد مضطرب العنان

● الطبقات الكبرى ابن سعد

ما قاله رسول الله ﷺ قبل وفاته

أخبرني محمد بن عمر حدثني عبد الله بن جعفر عن ابن أبي عون عن ابن مسعود، أنه قال: نعى لنا نبينا وحبيبنا نفسه قبل موته بشهر، بأبي هو وأمي ونفسي له الفداء، فلما دنا الفراق جمعنا في بيت أمنا عائشة وتشدد لنا، فقال: "مرحبا بكم، حياكم الله بالسلام، رحمكم الله، حفظكم الله، رزقكم الله، نفعكم الله، أداكم الله، وقاكم الله، أوصيكم بتقوى الله، وأوصي الله بكم، أستخلفه عليكم، وأحذركم الله إني لكم منه نذير مبين، ألا تعلوا على الله في عباده وبلاده، فإنه قال لي ولكم: ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين﴾، وقال: ﴿أليس في جهنم مثوى للمتكبرين﴾. قلنا: يا رسول الله! متى أجلك؟ قال: دنا الفراق والمنقلب إلى الله، وإلى جنة المأوى، وإلى سدرة المنتهى، وإلى الرفيق الأعلى، والكأس الأوفى والحظ والعيش المُهنى. قلنا: يا رسول الله من يغسلك؟ فقال: رجال من أهلي الأدنى فالأدنى، قلنا: يا رسول الله ففيم نكفنك؟ فقال: في ثيابي هذه إن شئتم، أو ثياب مصر أو في حلة يمانية. قال: قلنا: يارسول الله من يصلي عليك؟ وبكينا، فقال: مهلا رحمكم الله وجزاكم عن نبيكم خيرا، إذا أنتم غسلتموني وكفنتموني فضعوني على سريري هذا، على شفة قبري في بيتي هذا، ثم اخرجوا عني ساعة، فإن أول من يصلي علي حبيبي وخليلي جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم ملك الموت معه جنوده من الملائكة بأجمعه، ثم ادخلوا فوجا فوجا، فصلوا علي وسلموا تسليما، ولا تؤذوني بتزكية ولا برنة، وليبتدئ بالصلاة علي رجال أهلي ثم نساؤهم ثم أنتم بعد، واقرؤوا السلام على من غاب من أصحابي، واقرؤوا السلام على من تبعني على ديني من قومي هذا إلى يوم القيامة. قلنا: يا رسول الله! فمن يدخلك قبرك؟ قال: أهلي مع ملائكة كثيرين يرونكم من حيث لا ترونهم.

● طبقات ابن سعد

ذكر أسماء رسول الله ﷺ وكنيته

عن نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أنا محمد وأحمد والحاشر والماحي والخاتم والعاقب.

وعن أبي موسى الأشعري قال سمى لنا رسول الله ﷺ نفسه أسماء منها ما حفظنا، فقال: أنا محمد وأحمد والمقفي والحاشر ونبي الرحمة والتوبة والملحمة...

عن نافع بن جبير أنه دخل على عبد الملك بن مروان، فقال له: أتحصي أسماء رسول الله ﷺ التي كان جبير - يعني ابن مطعم- يعدها، قال: نعم، هي ستة؛ محمد وأحمد وخاتم وحاشر وعاقب وماح، فأما حاشر فبعث مع الساعة نذيرا لكم بين يدي عذاب شديد، وأما العاقب فإنه عقب الأنبياء، وأما الماحي فإن الله محا به سيئات من اتبعه.

عن موسى بن يسار، قال: سمعت أبا هريرة يقول: إن رسول الله ﷺ قال: تسموا باسمي ولا تكتنوا بكنيتي فإني أنا أبو القاسم .

● الطبقات الكبرى ابن سعد

ذكر من أرضع رسول الله ﷺ

عن عميرة بنت عبيد الله بن كعب بن مالك، عن برة بنت أبي تجراة، قالت: أول من أرضع رسول الله ﷺ "ثويبة" بلبن ابن لها يقال له مسروح أياما قبل أن تقدم حليمة، وكانت قد أرضعت قبله حمزة بن عبد المطلب، وأرضعت بعده أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي

عن القاسم بن عباس اللهبي، قال: كان رسول الله ﷺ بعد أن هاجر يسأل عن ثويبة، فكان يبعث إليها بالصلة والكسوة، حتى جاءه خبرها أنها قد ماتت، فسأل من بقي من قرابتها قالوا لا أحد.

● الطبقات الكبرى ابن سعد

أول جمعة جمعها النبي ﷺ

قال أهل السير والتواريخ: قدم رسول الله ﷺ مهاجرا حتى نزل بقباء، على بني عمرو بن عوف، يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول حين اشتد الضحى. ومن تلك السنة يعد التاريخ. فأقام بقباء إلى يوم الخميس وأسس مسجدهم. ثم خرج يوم الجمعة إلى المدينة، فأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم قد اتخذ القوم في ذلك الموضع مسجدا، فجمع بهم وخطب. وهي أول خطبة خطبها بالمدينة، وقال فيها: (الحمد لله. أحمده وأستعينه وأستغفره وأستهديه، وأومن به ولا أكفره، وأعادي من يكفر به. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق، والنور والموعظة والحكمة على فترة من الرسل، وقلة من العلم، وضلالة من الناس، وانقطاع من الزمان، ودنو من الساعة، وقرب من الأجل. من يطع الله ورسوله فقد رشد. ومن يعص الله ورسوله فقد غوى وفرط وضل ضلالا بعيدا. أوصيكم بتقوى الله، فإنه خير ما أوصى به المسلمُ المسلمَ أن يحضه على الآخرة، وأن يأمره بتقوى الله. واحذروا ما حذركم الله من نفسه، فإن تقوى الله لمن عمل به على وجلٍ ومخافةٍ من ربه عَوْنُ صِدْقٍ على ما تبغون من أمر الآخرة. ومن يصلح الذي بينَه وبين ربه من أمره في السر والعلانية، لا ينوي به إلا وجه الله يكن له ذكرا في عاجل أمره، وذخرا فيما بعد الموت، حين يفتقر المرء إلى ما قدم. وما كان مما سوى ذلك يود لو أن بينه وبينه أمدا بعيدا. ﴿ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد﴾(آل عمران: 30). وهو الذي صدق قوله، وأنجز وعده، لا خلف لذلك، فإنه يقول تعالى: ﴿ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد﴾(ق: 29). فاتقوا الله في عاجل أمركم وآجله في السر والعلانية، فإنه ﴿من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا﴾(الطلاق: 5). ومن يتق الله فقد فاز فوزا عظيما. وإن تقوى الله توقي مقته، وتوقي عقوبته، وتوقي سخطه. وإن تقوى الله تبيض الوجوه، وترضي الرب، وترفع الدرجة. فخذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله، فقد علَّمكم كتابه، ونهج لكم سبيله، ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين. فأحسنوا كما أحسن الله إليكم، وعادوا أعداءه، وجاهدوا في الله حق جهاده، هو اجتباكم وسماكم المسلمين. ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة. ولا حول ولا قوة إلا بالله. فأكثروا ذكر الله تعالى، واعملوا لما بعد الموت، فإنه من يصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس. ذلك بأن الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه، ويملك من الناس ولا يملكون منه. الله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم).

● تفسير القرطبي

من دعاء الرسول ﷺ

عن عمّار بن ياسر رضي الله عنه، قال: دعوات سمعتهن من رسول الله ﷺ: «اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمتَ الحياة خيرا لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيرا لي، اللهم وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق في الرضا والغضب، وأسألك القصد في الفقر والغنى، وأسألك نعيما لا ينفد، وأسألك قرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضا عند القضاء، وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين»(رواه النسائي).

بشائر التجديد

عبد الحميد الرازي

قبل وقت يسير كان عموم الناس يعتقدون أن الإسلام، باعتباره شريعة ونظام حياة، بات من غير الممكن أن يُمكَّن له في الأرض، ليعيد التجربة التي صنعت على عين الله عز وجل في مكة، وانتقلت إلى المدينة حيث الأرض الطيبة، التي قبلت الماء، فأنبتت قوما ضرب الله تعالى مثلهم في القرآن قائلا: ﴿كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار﴾. لكن كوكبة الدعاة والعلماء المخلصين، الذين لا يمكن أن يخلو منهم زمان ولا مكان، صمدت في وجه العدوان، ووقفت منافحة عن دين الرحمن، تبشر باستدارة الزمان وعودة القرآن، ينفخ روحه في أتباع النبي العدنان، محمد عليه الصلاة والسلام الذي قال: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله».

وقف هؤلاء الأعلام كالجبال الشامخة، موقنين بعظمة ما يدعون إليه من خير، حتى تجاوزت الأمة الإسلامية مرحلة الخطر التي وسمت بفقدان الثقة في الذات، وتجاوزتها إلى مرحلة الإيمان التام بمصداقية هذا الدين وصلاحه، وإمكانية العودة تحت رايته إلى مركز القيادة والريادة والسيادة، وهو ما بشرت به هبَّة الشعوب المقهورة التي اقتلعت الطغيان واجتثته، لتطهر البلاد من الأصنام والأوثان.

إن ما تشهده بلدان في بلاد الإسلام من يقظة، لدليل واضح على أن المسلمين أضحوا وقد هبت عليهم رياح التغيير المباركة يؤمنون بأن الجولة الآن للخير القادم، ولأهل الخير القادمين، والمقتحمين للميدان بعد أن غُيبوا عنه قسرا وجورا، وأن نجم الغرب قد آذن بالأفول، وأن أباطيله لم يعد لها في الكون مكان إلا بقدر ما يملك من قوة المال والنفوذ، التي بدأت تتآكل من أطرافها، وعما قريب ستنتهي بإذن الله، لتشرق شمس الإسلام من جديد على العالمين أجمعين.

إنها البشائر في ثنايا الشدائد، ولكن النهضة الحضارية، والعودة إلى الإسلام الحق، والمنهج الحق، والتطبيق الحق، لا يمكن أن يكون إلا من خلال العمل على منوال التجربة الأولى التي وعاها إمامنا مالك عليه رحمة الله تعالى، ولعله شاهد بعض مؤشرات التراجع والنكوص عن الصراط المستقيم، فأعلن قاعدته المشهورة: (لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها).

إن المسلمين جميعا مدعوون إلى توبة نصوح، تمكنهم من العمل بالقرآن الكريم باعتباره مصدرا للهداية والرشاد ومنهجا للحياة، والاقتداء بمن قال عنه رب العزة: "وإنك لعلى خلق عظيم"، وقالت عنه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها -وهي من أقرب الناس إليه، وخاصة في خلواته ﷺ-: (كان خلقه القرآن)، وذلك من خلال العمل أيضا بسنته التي هي بيان للقرآن، ودراسة سيرته التي هي التطبيق العملي للقرآن، وكل هذا لا يمكن أن يفهم حق الفهم، وأن يفقه حق الفقه، إلا بإتقان قواعد اللسان الذي أنزل به الهدى والفرقان.

إن الأمة الإسلامية مدعوة إلى التداعي على مائدة تلك الحقبة المباركة، التي تخلق فيها ذلك الجيل القرآني الفريد ووُلد، ومدعوة إلى استنباط الدروس والعبر من تلك الظروف التي صنعت ذلك المجتمع الفاضل، لتشيد على أساسه بنيان الأمة المسلمة الشاهدة من جديد، ذلكم أن القفز على المراحل وإهمال الشروط وعدم الإفادة من تجربة التأسيس الأولى لا يمكن أن تؤتي أكلها، وأن البناء المؤسس على قواعد فاسدة لا بد أن تخسف به الأرض، إن عاجلا أو آجلا، وأمتنا اليوم تملك من الطاقات والإمكانات ما يؤهلها لأن تكون الأمة الرائدة الشاهدة، وفي مقدمة هذه الإمكانات كتاب الله عز وجل، الذي هو الضمان الوحيد للنهضة السليمة، والقَوْمة الحضارية لهذه الأمة.

إنه الكتاب الذي يعتبر روح هذه الأمة؛ فلقد كان سبب ولادتها بالأمس بعد أن لم تكن شيئا، ووسيلة جمع شملها بعد أن كانت طرائق قددا، ومنهج هدايتها بعد ضلالة عمياء، وأساس علمها بعد جهالة جهلاء، وهو الذي جعلها ﴿خير أمة اخرجت للناس﴾، وله بالتأكيد الآن - في عصر الرقميات والذرة - القوة المرجعية والدافعة على بعث هذه الأمة من جديد،،،

لأنه الكتاب، الوحي المنزل من رب العالمين على العالمين.

لأنه الكتاب الذي قامت على أساسه حضارة الإسلام العظيمة، التي وصلت الأرض بالسماء، وساست الناس بالشريعة الغراء، وجعلتهم سواسية، لا فضل لأحدهم على الآخر إلا بالتقوى.

لأنه الكتاب الذي يحفظ الأمة من الذوبان ويدفعها إلى الارتقاء.

لأنه الكتاب الذي يجمع بين العلم والعمل.

لأنه الكتاب الذي يحفظ كرامة الإنسان ويحميه من الاستعباد.

لأنه الكتاب الذي يجمع شمل الأسرة ويعصمها من الفساد.

لأنه الكتاب الذي يحفظ للمجتمع تكامله وتكافله للوقوف في وجه الإفساد.

لأنه الكتاب الذي يدعو إلى الشورى في الحكم والعدالة في التوزيع.

لأنه الكتاب الذي يضمن الحقوق في زمن المطالبة بالحقوق...

أخرج الترمذي و الدارمي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أنه قال : **سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تكون فتن كقطع الليل المظلم، قلت: يا رسول الله ! و ما المخرج منها؟ قال: كتاب الله تبارك و تعالى، فيه نبأ من قبلكم و خبر من بعدكم، و حكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، و من ابتغى الهدى في غيره أضله الله، هو حبل الله المتين، و نوره المبين و ذكره الحكيم، وهو الصراط المستقيم، و هو الذي لا تزيغ به الأهواء، و لا تلتبس به الألسنة، و لا تتشعب معه الآراء، و لا يشبع منه العلماء، ولا يمله الأتقياء، و لا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، و هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا، من علم علمه سبق، و من قال به صدق، ومن حكم به عدل، و من عمل به أجر، و من دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم ».**

لمحة تاريخية... (تتمة)

مظاهر الفرح به التي يؤكد عليها الشيخ بالإضافة لما ذكر: جعل يوم المولد عطلة دراسية، وتقديم الهدايا لمعلمي القرآن الكريم في "المسيد"ص188. ويدافع عن الاحتفال بالمولد النبوي بقوله: "ويعتقد فيه وفي أمثاله الإباحة والتوسعة، ولا يقال فيه إنه حرام ولا بدعة، إن لم يصادم ذلك سنة ثابتة ولم يؤد استعماله إلى منكر ولا محظور، بل ينبغي أن يكون ذلك مندوبا مطلوبا لقوله تعالى ﴿وافعلوا الخير﴾(الحج : 77)، وهذا خير" كما يرى، ص188. ويذكر أنه قرأ كتابا لأحد علماء فاس يجيز فيه الاحتفال بالمولد النبوي، والبدع المصاحبة للاحتفال به بفاس التي حذر منها ابن عباد هي اختلاط الرجال بالنساء واستعمال الموسيقى والنظر إلى وجوه الغلمان.

ويظهر أن الاحتفال بالمولد النبوي كان قد ترسخ بفاس بعد منتصف القرن الثامن الهجري إلى درجة إيذاء سكانها للشيخ يحيى السراج تلميذ ابن عباد لرفضه الاحتفال به في أحد الأعوام مما جعل ابن عباد ينبهه إلى ضرورة الاحتفال به.

وقد ألف فيه الشيخ ابن عباد كراسة - لعلها خطبة من خطبه- تلقفها الناس بحفاوة بالغة، حيث كانت تقرأ في المولد، وبقي شغف الناس قائما بها في الموالد إلى القرن الحادي عشر حيث يذكر المقري في كتابه"نفح الطيب"7/327 أنه حضر "بمراكش المحروسة سنة عشر وألف قراءة كراسة الشيخ (ابن عباد) في المولد النبوي على صاحبه الصلاة والسلام بين يدي مولانا السلطان المرحوم أحمد المنصور بالله الشريف الحسني رحمه الله تعالى".

وحتى عندما توقفت الاحتفالات الرسمية بفاس زمن السلطان المريني أبي سعيد (800هـ-823هـ) لم تتوقف الاحتفالات الشعبية حيث كان يتبارى فيها شعراء الملحون كما يذكر محمد الوزان في كتابه "وصف إفريقيا"ص 260

ج - المولد النبوي في الجنوب سنة 769 هـ :

بعد ذكره لمجمل طوائف الجنوب الصوفية -عندما كان قاضيا للمرينيين بدكالة- تحدث ابن قنفذ القسنطيني في كتابه:"أنس الفقير وعز الحقير"ص 63 وما بعدها عن حضوره واحدا من احتفالات الصوفية بالمولد النبوي، ولو أنه لم يذكر لفظ المولد النبوي وإنما تحدث عن احتفالات في شهر "ربيع الأول المبارك الأسعد الأنور سنة تسع وستين وسبع مائة". والواقع أن طريقة احتفال طوائف الجنوب الصوفية مختلف تماما عما ذكرناه من الاحتفالات بسبتة أو فاس، إذ اتخذت الاحتفالات شكل تجمع عام، أو مؤتمر لكل طوائف الجنوب، في مكان موحد "على ساحل البحر المحيط جوف إقليم دكالة بين بلد آسفي وبلد تيطنفطر".

وكان الشيوخ الكبار لا يفوتون هذا اللقاء السنوي العام فقد "حضر من لا يحصى عدده من الفضلاء، ولقيت هناك من أخيارهم وعلمائهم وصلحائهم ما شردت به عيني بسبب كثرتهم".

نعم كان فيه توسعة في المأكل والمشرب، ومجالس السماع، لكنه كان أيضا مقصدا لذوي العاهات والزمنى الذين يقصدون الاستشفاء بالأولياء الحاضرين في هذا الموسم الكبير-كذا-

خلاصة

وصفوة القول: **إن الأمة المسلمة زمن قربها من قدوتها رسول الله ﷺ كان حبها له عمليا، تستلهم هداه وتقتفي نهجه...لكن لما طال علينا الأمد وسلط علينا الوهن فاتبعنا سنن الذين كانوا من قبلنا شبرا بشبر، فلما رأيناهم احتفلوا بأعياد احتفلنا نحن بمثلها.فليت احتفالنا بالحبيب ﷺ يكون بالعودة إلى ما أنزل عليه للتحقق والتخلق به، وإلى هديه لاستنباط الهدى منه وإلى سيرته للسير على أثره صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.**

1- النيروز هو أول يناير وهو يوافق اليوم السابع لميلاد المسيح عليه السلام.

- المهرجان هو يوم 24 يونيو وهو المعروف بـ " العنصرة" ذكرى ميلاد النبي يحيى عليه السلام

- ميلاد المسيح يؤرخونه بيوم 25 دجنبر.

بِنَبْضِ القلب

المرأة والحداثة

ارتبطت الحداثة في الكثير من نضالاتها بحقوق المرأة ومطالبها، وانصب نضال المثقفات في المغرب على التمكين للمرأة في مجالات السياسة وغيرها، ومع بداية الألفية الثالثة كان للمرأة نصيب في المنظمات الحقوقية حيث تربعت على رأس منظمتين حقوقيتين امرأتان، كما تم مؤخرا انتخاب أمينة عامة على رأس حزب مغربي، واعتبرت الأوساط السياسية أن ذلك يعد انتصارا لقيم الحداثة والديمقراطية... إن المشكل الحقيقي في بلدنا لا يرتبط بالمراكز التي تحتلها المرأة، بل بالدور المنوط بها، فقد انخرطت الحركة النسائية التقدمية في معارك دنكشوطية من أجل الدفاع عن الحق في ما أسمته الحريات الشخصية. واستنجدت بالمواثيق الدولية، بل منها من زايد على الوحدة الترابية (استدعاء انفصاليين لمؤتمر إحدى المنظمات الحقوقية) في الوقت الذي لا زالت فيه المرأة تمتهن عبر الإعلام العمومي والخصوصي وينظر إليها كقطعة أثاث وديكور.. إن الاستقواء بالأجنبي من أجل ترسيخ مفاهيم لا تنسجم مع مكوناتنا الثقافية والعقدية، لن يرسخ قيم الحداثة الحقيقية بقدرما يؤجج الاحتقان بين أبناء الوطن الواحد.. إن أولى مقومات المجتمع الحداثي أن يكون مجتمعا متناغما يتكئ على موروث ثقافي وقيمي، لذا نجد أمة كفرنسا لا زالت تحتفي عبر تاريخها المتواصل بامرأة تدعى جان دارك قاومت غزو بريطانيا من أجل عزة وطنها، لم تتخرج من جامعة، بل هي فتاة تربت في دير ولم تتلق أي تعليم يذكر، كل ما هنالك أنها رأت أن رقي فرنسا يبدأ من المنافحة عن وحدتها الترابية، نتذكر أيضا شهيدة الأوراس "فاطمة إنسومر" التي قاومت الفرنسيين في الجزائر، وفاطمة الفهرية التي أسست أول جامعة في التاريخ البشري، وكانت وجهة لطالب العلم من كل بقاع الأرض... من هنا تبدأ الحداثة و ليس من المزايدة على وحدتنا الترابية والدفاع عن الشواذ وعن المجاهرين بالإفطار في رمضان، ومرحبا بالمرأة عالمة، وسياسية واقتصادية وبرلمانية، ووزيرة في خدمة الوطن والمواطنين.

ذ. أحمد الأشهب

قمصان يوسف

د. حسن الأمراني

يوسف عليه السلام نبي من أنبياء الله تعالى، آتاه من الملك وعلمه من تأويل الأحاديث، وردت قصته كاملة مفصلة في سورة كاملة هي سورة يوسف. وهو ما لم يقع لغيرها من قصص الأنبياء التي وردت متفرقة في عدد من السور. فسورة يوسف نموذج للقصص القرآني الفريد، تضمنت الإشارة إلى خصائص القصة القرآنية، وهي خصائص متفردة أهمها ثلاث:

1- القصة القرآنية تمثل ذروة الحسن والجمال في الفن القصصي: ﴿نحن نقصّ عليك أحسن القصَصِ﴾ (يوسف : 3).

2- القصة القرآنية قصة تقوم على الحق، لا مجال فيها للخيال، ولا التزيد، ولا الاختلاق والافتراء: ﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(يوسف : 111).

3- القصة القرآنية ليست قصة للتسلية والمتعة وإزجاء الوقت، بل هي قصة تقوم على العبرة واستخلاصها: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾(يوسف : 111).

هنالك سمة أخرى من سمات القصص القرآني، لها علاقة وثيقة بما نحن فيه، وهي أن القرآن الكريم لا يذكر شيئا من الأشياء ولا من الأحياء إلا إذا كان مفصليا في سياق القصة، لا يمكن الاستغناء عنه بحال. ونحن، في غير القصة القرآنية، ربما وجدنا حديثا تفصيليا عن الأشياء، أشكالها، وأحجامها، وألوانها، ثم لا يكون لتلك الأشياء فعل في السرد، ولا أثر في الحدث، فوجودها وعدمه سواء، ولا كذلك القصة القرآنية. ففي سورة يوسف ذكر لعدد من الشخوص، ولكننا لا نعرف من الأسماء إلا اسم يوسف، لأن الأسماء لا تعني شيئا: فهناك الأب، أو الأبوان، وهناك الإخوة، وعزيز مصر، وامرأة العزيز، وصاحبا السجن، ونساء المدينة، ولا نعرف اسم أيّ من هؤلاء، وإن كنا نعرف عنهم ما لابد من معرفته، حيث لا يغير معرفة الأسماء شيئا من أحداث القصة ودلالاتها.

وأما الأشياء فعندنا الجبّ، والقميص، أو القمصان الثلاثة كما سنرى، والسكاكين، والسقاية، أو صواع الملك، ولكل شيء من هذه الأشياء أثر مفصلي في سير الحدث، ولا يمكن الاستغناء عنه بحال، وكل تلك الأشياء أثرت في مسيرة حياة يوسف الذي انتهى به المطاف إلى أن يصير ممكنا له في الأرض. يؤثر في صناعة تاريخ منطقته، من مصر إلى فلسطين، وكان للباس اثر حاسم في صناعة ذلك التاريخ.

وتجدر الإشارة إلى أن قصة يوسف وردت مفصلة في القرآن الكريم، كما وردت مفصلة في التوراة. ومن المهم جدا ملاحظة الفروق القائمة بين القصة القرآنية والقصة التوراتية. وقد عنى الأستاذ مالك بن نبي رحمه الله بعقد مقارنة بين قصة يوسف في كل من القرآن الكريم والتوراة، في كتابه: (الظاهرة القرآنية)، مبينا مواطن الاختلاف والائتلاف بينهما، ومن ذلك أن أموراً، بلغن أربعة عشر أمراً، وردت في القرآن الكريم ولم ترد في التوراة، منها أن القميص ذكر في القرآن الكريم ثلاث مرات، بينما لم يذكر في التوراة غير مرتين اثنتين.

ويمكننا أن نلاحظ أيضا، مما يتعلق بالتاريخ، أن التوراة تجعل فرعون هو صاحب مصر زمن يوسف، وأن يوسف صار غلاما لفرعون، بينما لا يرد ذكر فرعون البتة في القرآن الكريم، بل يرد ذكر الملك. وقد ثبت تاريخيا أن مصر، زمن يوسف، لم يكن يحكمها الفراعنة، بل كان يحكمها ملوك الهكسوس.

وأما قمصان يوسف، بحسب القرآن الكريم، فهي ثلاثة:

● **قميص الإدانة:** إدانة إخوة يوسف بالمؤامرة ضد أخيهم، فذلك قوله تعالى: ﴿ وَجَاؤُواْ أَبَاهُمْ عِشَاء يَبْكُونَ قَالُواْ يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ وَجَاؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾(يوسف : 17- 18)

وأما رواية التوراة فهي: «فمرّ قوم مدينيون تجار فجذبوا يوسف وأصعدوه من البئر وباعوه للإسماعليين بعشرين من الفضة فأتوا بيوسف إلى مصر. ورجع رأوبين إلى البئر فإذا يوسف ليس في البئر فمزق ثيابه. ورجع إلى إخوته وقال: الولد ليس موجوداً، وأنا إلى أين أمضي؟ فأخذوا قميص يوسف وذبحوا تيسا من المعز وغمسوا القميص في الدم. وبعثوا بالقميص الموشيّ فأنفذوه إلى أبيهم وقالوا: هذا أثبته. أقميص ابنك ضم أم لا؟ فأثبته وقال: قميص ابني. وحش ضار أكله، افترس يوسف افتراساً»(التوراة : 28- 33).

فالرواية القرآنية تجعل يعقوب يكشف كيد الإخوة، بسبب الدم الكذب على القميص، ويقول: ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾(يوسف : 18). فقد بقي الأب متعلقا بأمل العثور على ولده يوسف.

أما الرواية التوراتية فتجعل الإخوة متمكنين من تضليل الأب عن كيدهم، حيث يقول: «قميص ابني، وحش ضار أكله، افترس يوسف افتراساً».

وإذا كان يعقوب، حسب القرآن الكريم، يقول: «فصبر جميل» فإن الرواية التوراتية تصوره في غاية الجزع، حيث نقرأ بعد ذلك:

«ومزق يعقوب ثيابه وشد مسحا على حقويه وتاح على ابنه أياما مثيرة، وقام جميع بنيه وبناته يعزونه فأبى أن يتعزى وقال: "إني أنزل إلى ابني نائحاً إلى الجحيم، وبكى عليه أبوه».

لماذا إلى الجحيم، ويعقوب نبي، وولده يوسف نبي؟!

● **قميص البراءة:** وأما القميص الثاني فخبره كما يرويه القرآن الكريم هو:

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ من دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاء مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ من دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ من الصَّادِقِينَ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ من دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ من كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾(يوسف : 22- 29).

وهكذا يتبين كيف راودت امرأة العزيز يوسف عن نفسه، وأنه تأبى عليها، والبيانيون من المفسرين الذين سلموا من الاسرائليات في تفاسيرهم بينوا كيف أن دخول «لولا» في السياق التعبيري دل على أن الهمّ من يوسف لم يقع أصلا، كما في قوله تعالى: ﴿ لَوْلاَ أَن مَّنَّ اللّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ﴾ فالخسف هنا لم يقع أصلا بسبب المنّ من الله، والهمّ هنالك لم يقع أصلاً بسبب أن يوسف رأى برهان ربه، دون أن نشغل أنفسنا بطبيعة ذلك البرهان، الذي لا يمكن أن يكون- كما في بعض الروايات الإسرائيلية- أن يوسف رأى أباه يحذره ويقول له: إنك ستكون نبيا، وهذا فعل لا يليق بالأنبياء..

وأما امرأة العزيز فقد بقيت مصرة على مراودتها، فلما كاد يوسف ينفلت منها قدّت قميصه من دبر. فلما ألفيا سيدها لدى الباب وشهد شاهد من أهلها، وتبين أن القميص قدّ من دبر، قام القميص شاهداً على براءة يوسف.

وقد بقي إصرار امرأة العزيز على مرادها قائما حتى بعد ثبوت البراءة، ودعوة نسوة في المدينة شهدوا جمال يوسف وقطعن أيديهن، وكأن امرأة العزيز أرادت أن تقيم الدليل لهن على فطرية مرادها، وانتهت بالتهديد: ﴿ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنّ وليكونا من الصاغرين﴾، وكم بين نون التوكيد الثقيلة ونون التوكيد الخفيفة في هذه الآية من بلاغة وبيان، وكم من التصوير القرآني من حياء وكرم، مما يردّ سهام المتقولين. أما الرواية التوراتية، في هذا المشهد، فتقول:

«وكان بعد هذه الأمور أن امرأة العزيز مولاه طمحت عينها إلى يوسف وقالت ضاجعني. فأبى وقال لامرأة مولاه: هو مولاي لا يعرف معي شيئا مما في البيت وجميع ما هو له جعله في يدي. وليس في هذا البيت شيء فوق يدي. ولم يمسك عني شيئا غيرك لأنك زوجته فكيف أصنع هذه السيئة العظيمة وأخطئ إلى الله.

وكلمته يوما بعد آخر فلم يقبل منها أن ينام بجانبها ليكون معها. فاتفق في بعض الأيام أنه دخل البيت ليتعاطى أمره ولم يكن في البيت أحدٌ من أهله. فأمسكت بثوبه قائلة ضاجعني. فترك رداءه بيدها وفرّ هاربا إلى الخارج. فلما رأت أنه قد ترك رداءه

تتمة : ص 13

بارقة

من أكبر الكبائر البخل على الإعلام الإسلامي وخذلان قضايا الأمة

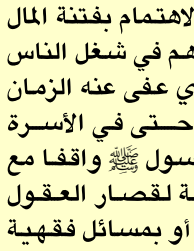

أ.د. عبد السلام الهراس

يجب الاقرار بأن الإعلام الإسلامي المرتبط بالمصالح العليا للمسلمين ونصرة قضاياهم والتعريف بها والملتزم بشرع الله في بيان محاسن الشريعة والدفاع عن مقدسات الاسلام ومؤسساته الشرعية وتاريخه المجيد والمحارب لكل من حارب الله ورسوله ولكل عتل معتد أثيم ممن يناصرون الرذائل ويحبون أن تشيع الفاحشة في المجتمع الاسلامي، هذا الإعلام ضعيف وفقير وغير قادر على مبارزة جبروت الإعلام الطاغوتي الذي يعيث فساداً في الأرض التي يحيط بها من جميع جوانبها يعززه إعلام داخلي في كل بلد يدور في فلكه ويذيع أفكاره ويروج تعاليمه ويكثّر أتباعه وأنصاره ويشغل المسلمين بالمعارك المفتعلة حتى أصبح "الإعلام" العميلُ التبيعُ الوطنيُّ المظهر الطاغوتيُّ المخبرِ أكثرَ خطورةً من إعلام أسياده.. لكن المصيبة ليست في جبروت ذلك الإعلام ولا في خيانة من باعوا أنفسهم للشيطان، وإنما المصيبة في تقاعس الكثيرين من المحسوبين على أمة محمد ﷺ وأحبابه وعلى دعوة الاسلام والحماس للدين، فبعض هؤلاء غائب عن الهجمات الشرسة على الدين وعلى الأسرة الاسلامية وعلى مقدسات الإسلام الحقيقية غير عابئ بالأخطار التي تهدد أمته ومجتمعه وبيته، لا يكاد يقرأ جريدة إسلامية أو يسمع محاضرة دينية أو يتفاعل مع ما قد يراه ويشاهده من ذلة المسلمين ومآسيهم صباح مساء، وقد يتبرع على الآيامى والأيتام بحوْقلة وتعوُّذٍ ثم ينصرف إلى أعماله والاهتمام بفتنة المال والأولاد والجاه.. ومنهم من يساهم في شغل الناس بقضايا من أوحال علم الكلام الذي عفى عنه الزمان يزيد به تمزيق وحدة المسلمين حتى في الأسرة الواحدة مثل : مصير أبوي الرسول ﷺ واقفا مع هذه القضية "الشائكة" بالنسبة لقصار العقول الواضحة لعلماء الأمة جميعا، أو بمسائل فقهية خلافية بين أئمة الإسلام ومذاهبه الستة المعترف بها مثل دعاء القنوت وموطن وضع اليمنى على اليسرى بما يعرف بفقه السّعة جاعلا من ذلك سبباً وجيها للخلاف والتنابذ والتدابر بين زوار المساجد.

ولكن الأدهى والأمرُّ أن هناك من أنعم الله عليه بالمال أو العلم أو الجاه لكنه شديد البخل على الإعلام الاسلامي بقلمه وماله وجاهه منتظراً النصر يأتي على يد "المهدي المنتظر"، وقد يرى ويقرأ الهول الكاسح الذي يهاجم أمته صباح مساء وهو لاه عن ذلك مما يجعله في الحقيقة يسهم في هزيمة أمته. والمؤلم أكثر أن يسجل التاريخ أن "الفرق" الاسلامية الجديدة قلما يقرأ فريق إعلام "فريق" آخر عن عمد وسبق إصرار.

إن النصر المراد والعزة المبتغاة لا ينزلان مع أمطار الليالي ولا عبر الرياح اللواقح، وإنما ينبعان من إيمان مقترن بعمل، وعبودية لله حسب المطلوب مكاناً وزماناً، والبذل في سبيل الله للمال والنفس، والاهتمام بأمر المسلمين، والتفكير العملي لهم، لا أن يكون قلبك مع المسلمين وسيفُك يصدأ في غمده الذهبي الجميل، ومالك وقفٌ على رفاهيتك ورفاهية أسرتك وجاهك مقرون بقضاء مآربك، ووقتك متسع لتحقيق مصالحك، ضيق عن قضايا أمتك وهمومها.

إن التقاعس عن نصرة الإعلام الإسلامي هنا أو هناك أو هنالك هو إسهام في خذلان المسلمين وهزيمتهم ﴿إنما المومنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون﴾.